15 em Année No. 751

Lundi — 24 — 11 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٥١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ محرم سنة ١٣٦٧ — ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

أندريه جيـــد

صاحب جائزة نوبل هذا العام

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

منذ أمد قصير قرأت للكاتب الفرنسى — أندريه جيد — فصلا من كتابه « قوت الأرض » يفيض بنشوة الحياة ، ويشع بنور الأمل ، يوجه فيه الخطاب إلى ناشىء مجهول من ناشئة المستقبل يسميه « ناثنائيل » ويصوغ كلامه فى ذلك الفصل بصيغة هى أقرب إلى تسبيح المؤمن منها إلى إنشاء الأديب .

يقول لصاحبه ناثنائيل : « ما الحيوان إلا حقيبة من الفرح : كل كائن يحب أن يوجد ، وكل موجود يفرح بوجوده ... إنه لهو الفرح الذى يمتلىء بالجزالة فيُسمى الثمرة ، ويترنم بالغناء فيسمى العصفور . والحق الحق أن الطبيعة كلها تنبئنا أن الإنسان مخلوق للسعادة ، وأن النزوع إلى لذة الحس هو محيى نواة الشجرة ومالىء الخلية بالشهد ، ومفعم قلب الإنسان بالحنان .. » .

ويقول : « لن تكون الحياة أجمل مما يرتضيها الإنسان ، وليست الحكمة فى العقل بل فى الحب ... آه ! إننى إلى اليوم قد عشت بأكثر مما ينبغى من الحزم والروية . وعلى الإنسان أن يكون بلا شريعة لكى يفتح أذنيه للشريعة الجديدة . أين أنت أيها الخلاص ! أين أنت أيتها الحرية . إننى لذاهب إلى حيث تمتد بى نوازع الرغبة . وأنت يا من أحب تعالى معى ، فإننى لذاهب بعيداً ، وسآخذك معى لعلك تذهب إلى أبعد ... » .

***

ثم انقضت فترة بعد ذلك فسمعت أن « أندريه جيد » فى القاهرة ، وأنه يأتى إليها منزوياً مستخفياً ليخلو بنفسه ، أو يخلو بسآمته ويأسه ، فى جو بعيد عن ضجيج الحياة الاجتماعية وتكاليفها المملة ، وأنه لا يلقى أحداً ولا يحب أن يلقاه أحد . ولكنى صادفته فى الطريق فعرفته من صورته وقال لى صاحب المكتبة التى لقيته عندها : إنه جيد ! . فتجاهلت ما قال ، لأننى لم أشأ أن أزعج الرجل فى عزلته ، ولأننى لا أحس فى نفسى الشوق إلى لقاء أحد ممن أقرأ لهم فيعجبنى ما قرأت . عن عقيدة مستقرة عندى : أن الكاتب أحسن ما يكون فى كتبه ، وأن القارىء الذى تفوته حقيقة كاتب قرأه ، فلما يعرف من محضره فوق ما عرف من مضامين كلامه .

رأيت وجهاً كاسفاً حزيناً فى غير نقمة ، منزوياً فى غير جفوة مستسلماً لا به لا يبالى ما سيصير ، لأنه قد بالى كثيراً بما قد صار .

قلت فى نفسى لأول وهلة : أهذا هو جيد بشير الحياة ؟ أيكتب اليوم ما كتبه فى قوت الأرض قبل سبع وأربعين سنة ؟

وأيًا ما كان كلامه المنظور منه اليوم ، فإن الرجل لم ينقض نفسه ، ولم يخل فى خوانيم القرن التاسع عشر من نظر إلى ماعسى

أن يصير إليه فى أنصاف القرن العشرين .

إنه لم ينس رحمة الموت يوم أشاد بنعمة الحياة ، لأنه قال فى ذلك الكتاب إن الموت يعودنا لقاءه كلما اقتربنا منه « وإنه يغطى يديه بقفاز ناعم حين يأتى إلينا ، ولا يكظم أنفاسنا قبل أن يعودنا الكظيمة . والعالم الذى ينتزعنا منه يكون فى موعد النزع قد أضاع وضاحته ، ومأنسه ، وقد أضاع من أجل ذلك حقيقته ، وأصبح أمامنا ناصل اللون لا يبعث فراقه فينا ألماً ولا ندامة » .

لقد عملت الخمس والسبعون عملها فى بشير الحياة ، وهو الآن يعيش فى العالم الناصل ، الذى ننظر إليه من بعيد ، وهو فى الثامنة والعشرين .

ولكن السن رحدها فيما نعتقد لم تفعل كل هذه الأفاعيل .

فقبل أندريه جيد خليق أن يصطدم بالميئسات وهو فى ريعان الشباب ، لأنه يدين « بالعيشة الاعتباطية » أو العيشة بغير داع ولا مسوغ لعمل من الأعمال « qratuitous act » كما بشر بها فى كتب صباه ، ولأنه يدين مع ذلك بالصراحة التى لا تعرف الحدود ، ولا تطيق ثقلة الرقابة الاجتماعية فى شأن من شؤون الفكر ، أو الفن ، أو الأخلاق . فلا جرم تسلمه « العيشة الاعتباطية » والصراحة الجامحة ، إلى الغم والخيبة ، قبل نصول العالم فى عينيه من ألوانه الزاهيات .

أى صراحة هذه التى رزقها هذا الرجل الوديع العجيب ؟ إنها صراحة لا تحجم من السخط والحرمان ، ولا تحجم مما هو أرهب للنفس من كل سخط وحرمان ، وهما الخزى والسخرية .

وأعجب ما فيها أنها صراحة لا تنشد غرضاً من الأغراض ، ولا تتجه إلى هدف من الأهداف ، غير التبرم بالكتمان ، والأنفة من تسليمه لسلطان لا يؤمن به ولا يرى ما يراه .

ذهب إلى مستعمرة « الكونغو » ، وعاد منها فى سنة ١٩٢٨ فكانت حملته على الاستعمار الأوربى ، وفى مقدمته الاستعمار الفرنسى — أشد مما يكتبه زنوج « الكونغو » لو دافعوا عن أنفسهم فى وجوه سادتهم البيض .

وقد كان يحسب أن السادة البيض رسل حضارة إنسانية إلى القارة السوداء . فخاب حسبانه وعاد وهو يائس من هذه الرسالة الزعومة ، ومن حاجة العالم الإنسانى إليها ، وشنها غارة شعواء لم تصمد لها الدول المستعمرة ، ولم يسعها أن تدفعها بالتكذيب والداورة ، وأسفرت آخر الأمر عن « لجنة التحقيق » الشهورة التى أوشكت أن تؤيد كل ما قال .

وقيل يومئذ أن « جيد » قد انقلب إلى أحزاب الشمال ، وقد انقلب فعلا إلى أحزاب الشمال ، وكفر بمذاهب المجتمع القائم جميعاً وهو يظن أن الأمل كله منعقد بنجاح الاشتراكية ، بل الشيوعية ، كما يبشر بها الماركسيون .

ولكن الشيوعية تأسست بعد ذلك فى البلاد الروسية ، ودعى « جيد » مع من دعتهم حكومة السوفييت إلى شهود آثارها فى تلك البلاد ، وعدتهم لا تقل عن مائة وخمسين من الأنصار والمعجبين . فخاب أمله ، وتهدم يقينه ، ولم يكتم ما خامره من الأسف والحسرة على ذلك الأمل الخائب واليقين المهدوم ، وكتب رسالته الأولى عن هذه الرحلة ثم قفاها برسالة أخرى ، يرد بها على ناقديه وتالبيه ، ويؤيد ما قال فى هذه المرة بالرقم والدليل .

على أن هذه الصراحة الجريئة كلها لا تبلغ من العجب مبلغ صراحته فى المسألة الجنسية كما يعرض لها فى بعض تمثيلياته وبعض أقاصيصه واعترافاته .

فهو يعلن فى غير مواربة أن « الشذوذ الجنسى » طبيعة فى بعض الناس كطبيعة الذكورة والأنوثة ، وأن الحكم عليه حكم على بنية خاصة ومزاج خاص ، ولا يصح أن نجعله حكما على رذيلة أو مثابة من مثائب الأخلاق .

وتصدى له « هنرى ماسى » من الحزب الكاثوليكى الوطنى ، فاغتنم هذه الفرصة لمهاجمة علم من أعلام البروتستانت الفرنسيين ، لأن « جيد » من أسرة بروتستانتية عريقة ، وأنحى عليه بالتشهير والتجريس ، ورماه بالحطة وإفساد الآداب . فكان جواب « جيد » عليه كتاب كوربدون Corydon الذى يقول فيه ما لم يقله من قبل ، فى شرح « الشذوذ الجنسى » وفى أضراره من وجهة الصحة ووجهة الأخلاق ، ووجهة المصالح الاجتماعية ، فبلغ فى صراحته هذه — كما أسلفنا — مبلغاً لا تقرن به صراحته فى الهجوم على المذاهب أو الهجوم على الحكومات .

وليست صراحة الرجل فى الرأى مسألة فكر وحسب ، أو

مسألة كلام وكفى . لأن هذه الحرية تكلفه كثيراً من المال ، وتجشمه كثيراً من العناء ، وهو غنى بما ورثه من أمه وبعض أقربائه ، فلايبخل بمال ينفقه على اللاجئين إلى باريس من المضطهدين فى بلادهم ، سواء كانوا من الألمان أو النمسويين أو الأسبان أو البلجيك ، ويمنيهم بكل ما استطاع من المعونة فوق معونة المال .

***

أما قيمة « جيد » الأدبية ، فهى فى بعض نواحيها مما تتفق عليه آراء النقاد ، على صعوبة الاتفاق فى هذه الآراء .

فناقدوه والمعجبون به متفقون على جمال أسلوبه ، يقول بعض ناقديه قبل المعجبين به : أن مجرد المطالعة فى جمل من عباراته ورسائله متعة فنية ، تكفى وحدها للعودة إليه .

وليست لجيد براعة كبراعة « أناتول فرانس » فى لباقة التعبير وسهولة الفكاهة . ولكنه يوازنه بما هو أفضل منه فيه ، وهو جد الرأى وحماسة الروح .

وليست له قدرة بروست فى الوصف والتحليل ، ولكنه يعوّض هذا الضعف بقدرته فى الحوار والحركة ، فيصل بك من طريقهما إلى القصد الذى يتوخاه الكاتب بالوصف والتحليل .

وقد علق بالرمزية واللهجة الغنائية Lyric فى أوائل حياته ، ثم جنح إلى البساطة والوضوح فاتخذ له أسلوباً يلائمه ، وينتقل بفحواه إلى اللغة التى يترجم إليها ، وتقرأه مترجماً فلا تفوتك معالمه الشخصية من وراء الألفاظ والعبارات .

وقد ورث سليقة المعرفة من بيئته التى نشأ فيها ، لأن أباه جان بول جيد هو علامة الاقتصاد المشهور ، وعمه شارل كان أستاذاً من أساتذة « كوليج دى فرانس » المتازين ، وأسرته كلها من بيئة المثقفين والمطلعين ، ولكنه مع هذا يحسب من ذوى السلائق والأذواق ، ولا يحسب من ذوى الأذهان والأفكار ، ونفوره من المدرسة الذهنية Intellectualism عرض من أعراض هذا الاستعداد .

ولا تقل ملكة النقد عند هذا الأديب عن ملكة الإنشاء والابتكار . فإن آراءه فى دستيفسكى الروسى ، وفى وتمان الأمريكى ، وفى مونتانى الفرنسى ، وفى الآداب الإنجليزية والألمانية على العموم ، هى مثل فى النقد العائب والإنصاف المنزه عن الغاية ، والتصرف فى الجمع بين نماذج الفن فى شتى الأمم ، وشتى اللغات ، وشتى العصور .

وقد مارس الكتابة مستتراً ، ومارسها مصرحاً باسمه ، ولكنه ظل عازفاً عن المظاهر والألقاب من شبابه إلى هرمه ، وعرضت عليه العضوية فى « الأكاديمية الفرنسية » فلم يخف إلى قبولها ، وهى أشرف مايتطلع إليه الكاتب الفرنسى من وراء الصيت والتقدير

وها هى لجنة « نوبل » تخصه هذا العام بجائزتها الأدبية وهو يجاوز الثامنة والسبعين ، فلاتقع الغرابة فى هذا الاختيار إلا من ناحية واحدة : وهى ناحية الإغضاء عن رأيه فى المسائل الجنسية ، ولعلها قدرت صراحته فى الارتداد على مذاهب الهدم ، وقدرت عطفه على الضعفاء والمخذولين ، وقدوت ملكاته الفنية ، وأقامت الميزان بين دواعى التنويه ودواعى الإهمال ، فرجحت كفة الحسنات عندها على كفة السيئات .

عباس محمود العقاد

ظهر حديثا

الجزء الأول — من المجلد الأول

من كتاب

وحى الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

الثمن ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

فى منظار «الخفيف»

للأستاذ على الطنطاوى

لم يعلم أحد لِمَ لَمْ يكتب الصديق النبيل الأستاذ محمود الخفيف فى العدد الماضى من « الرسالة » ، ولم يعلم هو من الأمر إلا أنه فقد منظاره فجأة ، ثم وجده كما فقده فجأة ، لم يدر أين ذهب ولا كيف أتى ، ولم يعرف سرّ المسألة إلا أنا ، لأنى سرقت « المنظار » من جيبه لما زارنى فى « الرسالة » فى الأسبوع الماضى ، ورددته إلى جيبه لما مرّ بى أمس ، وقد كان عرض علىّ أن يعيرنيه لما رأى رغبتى فيه ، ولكنى خشيت (وسوء الظن عصمة) أن يفسده أو يصنع به شيئاً يمنعنى من الاستمتاع به ، كيلا أعود إلى طلبه منه ، فآثرت أن آخذه على حين غفلة منه لأستعمله صحيحاً غير فاسد ، ثم إن السرقة أخت الاغتصاب ؛ وقد نصّ (الشاعر) على أن :

من أطاق التماس شىء غلاباً واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا

والشعراء أئمة الأدب ، ولا يستطيع « مقلد » مثلى مخالفة نصوص « الأئمة » ... لذلك سرقت « المنظار » ، ولكنى لم أرَ به مثل تلك الصور الفنّية الكاملة التى كان يراها الأستاذ محمود ، وإنما رأيت ... اسمعوا ما ذا رأيت :

***

وضعت « المنظار» على عينى ، وخرجتُ به من الدار ، وكنت على موعد مع الأستاذ نهاد القاسم[1] لنزور جامع محمد على ، وسرت أنظر إلى بعيد ، فلم أخط خطوات حتى أحسست رجّة فى جسدى ، وألم فى ركبتى وقدمى ، وإذا أنا قد سقطت فى حفرة لم أنتبه لها .

وأقبل المارة يخرجوننى ويسألوننى كيف وقعت ؟ !

قلت : كما وقع الفلكى الذى كان ينظر فى النجوم ومسالكها ، ويدقّق فى سركاتها وسكناتها ، ويعمى عما تحت قدميه ، وكما (يسقط) الكاتب الذى يتكلم فى الفلسفات العليا ، ويغفل عن أدواء أمته وأمراضها ، والشاعر الذى يحلّق فى سماوات الخيال ، ويدع أمته تتمرغ فى حضيض الشقاء ...

وتركتهم يعجبون من هذا الكلام الذى حسبوه كلام مجنون ... وسرت حذراً ... أنظر حولى كيلا ألدغ مرتين من جحر واحد ، فأكون شرًّا من الحمار ، لأن الحمار إن سقط فى حفرة مرة ، يجتنبها فلا يسقط فيها أخرى ، والإنسان (الذى يؤمن به أخونا الأستاذ خلاف) يسقط فى الحفرة الواحدة خمسين مرة ، ثم لا يجتنبها ولا يبتعد عنها ...

ونظرت فى « المنظار » فلم أر فى وجهى ... إلا سوءات مكشوفة و « أوساخاً » ظاهرة ، وبلايا من هذه البلايا ... فكدت من غضبى أكسر هذا « المنظار » المحور الذى ينظر فيه الأستاذ محمود فيرى « زهرتىْ » الوزارة ، وبيصرغادة « الحمار الآخر » ؛ وأنظر أنا فلا أرى إلا الأوساخ والسوءات ، ورفعته عن عينى ، وأنعمت النظر... فإذا الذى أراه حقيقةٌ كنت أمرّ بها فلا أنتبه لها ، لتعودى عليها ، وتنبهت لها الآن لما ركبت على عينى « المنظار» ، وهى أن الطريق الذى أسلكه كل يوم من دارى إلى جسر الملك الصالح وأحسبه نزهاً جميلا ، قد فاض بالأقذار من الجانبين ، فمن هنا هؤلاء الناس من الرجال : الشيب والشبان ، والأولاد : البنات والصبيان ، والنساء أحياناً ... (حتى النساء !) يدعون جميعاً بيوت الطهارة وهى أمامهم : فيها الماء ، وعليها الحارس ، وفيها الستر والنظافة ، و « يقضون حاجتهم » على طول « الشطّ » أمام الناس ، ومن هناك البنات المصريات فى آخر الشارع ، والأولاد المصريون فى أوله ، يدعون جميعاً المدارس المصرية الطاهرة النظيفة ، ويقصدون هاتين المدرستين الإنكليزتين ، يفتحون أدمغتهم للانكليز وصنائعهم من أصحاب الأغراض والحاجات ، ليحققوا فيها أغراضهم ، و « يقضوا حاجتهم » ويجعلوها عشًّا لكل وباء وكل مرض ، يضعف الوطنية ، ويؤذى الدين . وإذا طهر الشط من أقذاره الكناس ، ورشاش (الدالين)[1] ، فلن يطهر البلد من أقذار هذه المدارس ، إلا أن تكنسها الحكومة من أرض مصر ، وتلقيها وأهلها فى البحر ...

وركبت الترام وأنا مغيظ مما رأيت محنق ، فرأيت و«المنظار» على عينى ، ما سلاّنى وسرّنى عنى ، رأيت أمامى وجهاً حلواً ، دقيق القسمات ، نظيفاً لم تنزل ساحته الأصباغ ، ولامسته يد

(١) المستشار الاستئناف فى دمشق وزميل فى البعثة القضائية فى مصر .

(١) أى الـ (دال — دال) : (D.D.T) .

التجميل ، ولكن جمّله ربه ، وصبغه بصبغته ... ومن أحسن من الله صبغة ؟ فيه عينان زرقاوان ، وفم متجمع مستدير ناضج الشفتين ، فوقه شعر أشقر ، لا هو بالطويل المسترسل ، ولا هو بالقصير المحلوق ، وسوالف ليست مقطوطة كسوالف الرجال ، ولا مطلقة كسوالف النساء ، على جسم قد غطته سراويل سابغة ، ورداء له أكمام طويلة ، تبرز منها يد بضّة ملفوفة ، ما تعرف أهي يد بنت مدلّلة ، أم يد غلام مترف ، والعمر في نحو الخامسة عشرة ، فجعلت أتساءل حائراً : هل هذا شاب أم فتاة ؟ وحاولت أن أجد علامة دالّة ، أو أمارة ظاهرة ، فعدمتُ العلامات ، وخفيت عني الأمارات ، وطالت حيرتي حتى لقد هممت أن أمدّ يدي فأتلمّس ... ومنعني أن أفعل أني استحييت وخفت العواقب ، وأن الشاب قام ، أو أن الفتاة قامت ، فنزل ، أو نزلت ، وكل راكب في الترام يتساءل مثل تساؤلي ، ويحار مثل حيرتي !

وركب مكانها (أومكانه) ، امرأة فرنجية كأنها من لطافتها... (سيد قشطة) تجر وراءها ثلاثة : ولدين كالخنزيرين السمينين ، لا يعرف طولهما من عرضهما إلا بالقياس ، وعجيزة مثل كيس التبن ... وصلت هي إلى المقعد ، ولا تزال العجيزة تصعد السلّم ، ثم جلست بين الرجلين على طرف المقعد ، وهي تلهث كأنها قاطرة حلوان ...ثم اندفعت في المقعد فضغطت الرجلين ، فأدخلت واحداً في الزاوية من هنا ، وواحداً من هناك ، وأقعدت الخنزيرين (أي الولدين) على الركبتين ، وتنفست الصعداء بعد هذا الجهد ، فكانت نفخة مفاجئة أطارت جريدة كانت في يد الراكب أمامها ...

وأقبل الجابي (الكمساري) وهو رجل أسمر طويل ، عبوس الوجه ، متين البناء ، له شاربان كساريني مركب ، فقال لها :

— فلوس !

فمدت إليه يدها بثمانية مليمات ، كأنها تمدها إلى سائل، فقال لها :

— هنا بريمو ، خمسة عشر مليما .

فرفعت إليه هذه الكرة المفلطحة التي تسمى في جغرافية جسمها (رأساً) ، ولوت شدقها ، وصمّرت خدها ، ومدت شفتها ، حتى صار وجهها مثل القرعة اليابسة ، وقالت :

— أنا ما بياطي ، أنا مش آهد كويس .

— خمسة عشر مليما يا مدام .

فغضبت ، وصاحت :

— انتي مسريين ما بسير لتيف أبداً ، بيتَسمْ متوهش !

فأسرعت أنزع « النظار » لألعن أباها ، ومن جاء بها إلى مصر ، ولكني وجدت (الكمساري) قد سبقني إلى هذه الكرمة ، ورأيته قد انقلبت عيناه في أمّ رأسه ، واصفر وجهه حتى صار كقشرة الليمونة ، وارتجفت شواربه ، ولكنه تماسك وتثبت ، وصفّر فوقف[1] الترامَ ، وقال لها :

— لو كنت رجلا لرأيت ، ولكنك امرأة ، ونحن لا نمد أيدينا إلى النساء ، فقومي انزلي ...

وأكبرت فعله ، وثمّنت أهنته وأصاخه ، ولولا خشونة خدّه ، وأنها لا تطيب قبلته ، لوثبت عليه فقبلته ، وتمنيت أن يكون كل مصريّ مثله ، وحمدت للمنظار ما أراني به ، ولكن الفرصة لم تطل ، فقد فتح الباب ودخل منه سائل[2] كأنه في جسمه وفي عينيه بشار ابن برد ، عليه ثياب لو أن للقذارة (جائزة) عالمية ، لنال بها الجائزة ، يغني بصوت نخاله — والعياذ بالله — صوت ثلاثة حمير تنهق معاً ، على نغمة (الجازبند) نهيقاً مقلوباً ، كأنه صراخ الجن في الأودية المسحورة ، أو نواح المردة في قعر الجحيم ، أو كأنه الموسيقى الفرنجية ... بشعر لا تفهم له وزناً ولا قافية ولا معنى ولا تجد فيه طرباً ولا متعة ولا لذة ، فكأنه شعر بشر فارس ...

فلما اقترب مني لم أجد أحسن من الفرار ، فنزلت من الترام عند الشارع الذي كان اسمه أيام الاحتلال « شارع مستشفى اللادي كرومر » ، وكنت أنا المصري الأصل ، الدمشقي المولد والبلد ، أتألم وأقول ما ذا يكون لهذه التسمية من ألم في نفوس المصريين أصلا ومولداً وبلداً ، وهي تذكرهم بأعدى عدو لهم ، وتمنّ عليهم بمستشفى أنشأته زوجته ببعض ما سرقت من مال مصر ، مع ما أصيبت به مصر على يد زوجها وقومه ، من ذهاب الأنفس والأموال ، ومن ضياع الحرية وهي أعز على الأبيّ من النفس والمال ، وأوثر أن تموت في الهواء (إن لم يكن إلا هذا المستشفى) ، على أن نشفى فيه ، لأن شفاء أجسامنا فيه ، يمرض وطنيتنا ، بمحبة هذه (اللادي) وذكرها بالخير ، وعرفان الجميل

(١) وقفه ولا يقال أوقفه .

(٢) ولا يخلو الترام لحظة من سائل

لها . فلما تنبهت مصر ، وذهبت تخطب أهل الأرض من فوق منبر مجلس الأمن ، تعرفهم ظلم الإنكليز إياها ، وعدوانهم عليها ، رفع الشباب هذه اللوحة ووضعوا مكانها لوحة سمّوه فيها « شارع دنشواى » ، وأشهد لقد كانت تسمية عبقرية ، وكان ردًّا بارعاً ، وكان جواباً لا يصدر إلا عن إلهام ...

ووجهت « النظار » إلى هذه اللوحة الجديدة ، أمتع بها روحي ، وأنعش نفسي ، فلم أجدها ، ووجدت اللوحة القديمة قد جددت ، فسحت « النظار » ونظرت فلم أر غيرها ، فرفعته عن عيني ونظرت ، فإذا أنا أجد اللوحة القديمة قد جددت حقاً ...

لما ذا ؟ هل عادت أيام الاحتلال ؟ !

ورفعت « النظار » عن عيني لئلا أسقط في حفرة ، أو أصدم أحداً ، حتى دخلنا المسجد ، فقلت : أغمه لحظة ، علّي أرى في المسجد ما يسر ويفرح بعد تلك المحزنات ، وكانت الصلاة قد اقتربت ، والمسجد لبعده ، ولازدحام المساجد من حوله ، كأنه خالٍ فما فيه إلا أربعة صفوف ، ونظرت فرأيت ثلاث فتيات سوافر كسائر نساء مصر ، شعرهن يموج على أكتافهن ، وأذرعهن بارزات كلها من الكم الياباني (الجاپونيز) الذي يبدي ما تحت الإبط لكل ذي عينين ، والسيقان مكشوفات لا جوارب تصعد لسترها ، ولا ثوب ينزل لتغطيتها ، ومعهن أمهن تؤدي هذه الملأة ذات البرقع الذي لا يستر من الوجه إلا مداخل النفس من الأنف فقط ، ويظهر الباقي كله ... وأسرعت الأم وبناتها إلى حوض الماء يتوضأن ، ويمددن أرجلهن لغسلها ، فلا يبقى مستوراً إلا ... الذي لم يكشف ... ثم يقفن هكذا للصلاة .. وفي المسجد مشايخ ، رأوهن فلم يكلمهن أحد منهم ، والخطيب رآهن فلم يعرض لهن ، فنزعت « النظار » وأغمضت عينيّ ، وحاولت أن أنساهن وأتوجه إلى الصلاة ، فلم أستطع ، لأن صورتهن لا تزال (أقول الحق) أمام عيني . فإذا كن يلحقننا حتى إلى المسجد ، فكيف نفرُّ يا قوم منهن ؟ وكيف يصنع الشاب العزَب ليتقي إغراءهنّ ؟

ألم يخطر على بال أحد من العلماء ، والآباء ، هذا السؤال ؟ !

ورجعنا و « النظار » على عيني ، ولكنه أخذ يكذب ويشوّه الحقائق ، فيريني خياماً من القماش في أول شارع الخديوي اسماعيل ، وعليها لوحة تقول : إن هذه الخيام (إدارة تنظيم عمارة المدن) ...

فأقول : ينظمون عمارة المدن ، ولا يستطيعون عمارة حجرتين من اللبن والخشب ؟ هذا لا يمكن ... وأهم بطرح النظار ، ثم أذكر أن هذا ممكن جداً في الشرق !

أليس يأمر الناس بالتقوى من ليس تقياً ، ويدرّس البلاغة من ليس بليغاً ، ويقود الأمة من يحتاج إلى من يقوده ، ويعطي الأشياء فاقدها ، ويولي الأمور غير أهلها ؟ !

وتابع « النظار » الكذب ، حتى إذا وصل إلى دار المفوضية السورية ، وهي أفخم من أختيها : الأمريكية والروسية ! ! زاغ « النظار » عن كل ما في الدار ، واستقر على « عقد الإيجار » ، فأراني فيه رقم (٣٠٠) جنيه في الشهر ، ثم ذهب بي إلى دمشق ، فبصّرني بآلاف التلاميذ يزدحمون كل سنة على أبواب المدارس ، ثم يرتدون عنها لأنها لا تتسع لهم ، وليس عند الوزارة ما تستأجر به داراً جديدة ، لأن أجرة الدار (٣٠٠) جنيه في السنة ! ثم دار بي على المفوضيات السورية في آفاق الأرض ليريني ...

ولكني أغمضت عيني فلم أنظر ، لأن هذا كذب ظاهر ، ونحن أعقل من أن نؤثر الظاهر على الجواهر ، والتزاويق على الحقائق ، والخارجية على المعارف ، وثوب العرس على العروس ! ونحن أعقل من أن نشتري (كراقتة) بخمسة جنيهات ، ونمشي بلا سراويل !

وسرت ... فإذا « النظار » يريني « كذبة » أشنع وأبشع : إعلانات ، في كل مكان ، وكل شارع ، أن الإخوان المسلمين سيمثلون رواية الهجرة ، على مسرح الأزبكية ...

كذبة قطعاً ، وإلا فهل استحالت دعوة الإخوان ، وهجرة الرسول ، إلى مسرح وتياترو ؟ ومن يمثلون ؟ النبي والصديق وعلي ؟ أهذه آخرتها ؟

جمعية الشبان المسلمين ، مثّلت مع زوزو نبيل ، وسمّتها ممثلة المسرح الإسلامي ! وجماعة الإخوان تنزل الصحابة إلى تياترو الأزبكية . . فهل تنشر مجلة الأزهر صورة امرأة عارية لتكمل الرواية ؟ وهل يوضع في جامع الكيخيا أو كسترا أفرنجية ، وفي مسجد الحسين تخت شرقي ؟ !

* * *

لا ... خذ « منظارك » يا أستاذ محمود ... حسبي ما رأيت !

(القاهرة) علي الطنطاوي

النفـــوذ اليهودى

بين الصحف الأميركية والصحف العربية

للأســـتاذ نقولا الحداد

صوت صارخ فينا وفى سائر البلاد العربية أن اليهود محتكرو الصحف الأميركية للدعاية الصهيونية . وليس للهيئات العربية سبيل للرد على إفك اليهود وتشنيعهم بالعرب والدعاية لصهينة فلسطين . لأن الصهيونيين يسيطرون على الجرائد الأميركية فلا يسمحون لجريدة أن تنشر كلمة حسنة عن العرب ولو بثمن غال

لا تعتبوا يا قوم على الصحف الأميركية فى حين أن بعض صحفنا المصرية ليست أقل خضوعاً لنفوذ اليهود من صحف أميركا ومن يتحقق هـــذه التهمة يجد أنها حقيقة ناصعة . ومن جملة الحوادث التى تؤيد هذه الحقيقة ما يأتى :

تقدم فى حين من الأحيان إلى رئيس تحرير جريدة كبيرة مندوب من قبل هيئة عربية كبرى محترمة بكلمة موجزة ذات شأن عظيم لمصلحة العرب فى المسألة الفلسطينية . فوعد الرئيس بنشرها . ولكن مضت بضعة أيام ولم تنشر . فعاتب المندوب رئيس تحرير الجريدة على عـدم نشرها . فأجابه أن القيم على إعلانات الجريدة أبى أن تنشر لأن نشرها ليس من مصلحة الجريدة بل هو ضار بها . واعتذر الرئيس بأنه إذا نشر خبرا ضاراً بالجريدة، فالجريدة تضعف ولا تعود تستطيع أن تخدم الأمة والعرب عجباً ! لا تستطيع أن تخدم الأمة إذا كان نشر خبر يضرها . وإذا كان الخبر ضرورياً لحياة الأمة وهى لا تنشره فإذاً متى وكيف تخدم الأمة ؟

وما لبث المندوب أن عرف أن ذلك القيّم على الإعلانات يهودى وحجته أنه إذا نشر الخبر انقطع اليهود عن الإعلان فى الجريدة . فتأمل . !

حكاية ثانية : منذ نحو سنتين أو أكثر أرسلت إلى إحدى مجلاتنا الكبرى مقالا بعنوان « لمن فلسطين ؟ » وأثبتُّ فيه بالأسناد التاريخية وغيرها أن اليهود الأجانب الذين يدّعون الآن ملكية فلسطين ليسوا من نسل إسرائيل . بل هم أوروبيون تهودوا منذ نشأت الإسرائيليون فى آسيا وأوربا فأغروا بعض الوثنيين باليهودية فتهودوا . فهم ليسوا ساميين كما كان هتلر يزعم . بل هم آريون أكثر من هتلر . ولذلك ليس لهم ضلع البتة فى فلسطين . بل إن فلسطين لأهلها القيمين فيها من قبل موسى إلى اليوم . وقد غيروا دينهم من يهود إلى مسيحيين ثم إلى مسلمين حسب تقلبات الحوادث التاريخية والسياسية الخ . هذا كان فحوى المقالة .

ومضت أشهر ولم أر المقالة فى المجلة فذهبت إلى إدارة المجلة عاتباً . ولكن سكرتير التحرير قابلنى بأنه لا يدرى سبب عدم نشرها . وصاحب المجلة كان متغيباً فلم أتصل به فقلت : هاتها . فتبرم وقال لا أدرى إن كنت أجدها .

فبحثنا بين أوراق التحرير . ومن حسن الحظ وجدناها

ثم أرسلتها إلى مجلة أخرى رائجة . ومضت الشهور ولم تنشر فكتبت إلى إدارة التحرير مطالباً بها . ولم أحصل على جواب ففهمت أنها ذهبت فى سلة المهملات . ثم علمت أنها لا تنشر لأنها ضد مصلحة اليهود الذين ينشرون إعلانات فى المجلة .

ومنذ عهد غير بعيد كتب أديب لإحدى الجرائد اليومية بضعة عشر سطراً يطلب من اليهود الذين فى مصر أن يعلنوا شجبهم للصهيونية وبراءتهم منها قولا وعملا وأن هذا الشجب من مصلحتهم ما داموا مواطنين لأكثرية ساخطة على الصهيونية فلم تنشر الجريدة هذه النبذة . ولما عاتب ذلك الكاتب رئيس تحريرها قال إن هذه النبذة صعبة ملعونة يعنى أنها شبه تهديد لليهود . وهو لا يريد أن يستاء اليهود من جريدته لئلا يحرموها إعلاناتهم . فترى أن الجرائد تحت رحمة يهود البلاد بسبب إعلاناتهم

هذا قليل جداً من كثير جداً من الأخبار المشينة المؤلمة عن سيطرة اليهود فى مصر على بعض الجرائد الرائجة والمجلات المنتشرة .

فلماذا تلوم الصحف الأميركية إذا أذعنت لليهود بعدم نشر شىء من مصلحة العرب ولا سيما لأن قضية العرب ليست قضية

الأميركان ولانهم الشعب الأميركي . ولماذا لا تلوم الصحف العربية التي تراعي خاطر اليهود في قضية العرب والقضية قضيتهم فبالله أهكذا تخدم الصحف العربية شعبها وعروبة قرائها ؟ تخدم مصالح اليهود ، واليهود يتذرعون بكل وسيلة لامتصاص مالية البلاد العربية والسيطرة على سياستها إلى غير ذلك مما هو معلوم

لا نجهل أن الصحف في كل العالم تعيش على الإعلانات . وإيراد الإعلانات يعيش على رواج الجرائد ، ورواج الجرائد يعيش على إقبال القراء عليها ، وهذا الإقبال هو ثمرة جهاد المحررين وإدارة أصحاب الصحف وجهاد عمالها ، ومتى تزايد عدد القراء أو النسخ التي تطبع ارتفعت أجور الإعلانات ، وهذه الإيرادات الأخيرة من الإعلانات تستغلها شركة الإعلانات اليهودية التي تتوسط بين المعلنين والجرائد

لا نجهل هذا ، ولكن لا نفهم لماذا تكون الوساطة بين المعلنين والجرائد في يد شركة يهودية تتحكم بالجرائد وأصحابها وأقلامها وعمالها وقرائها أيضاً فلا تسمح بنشر شيء ضد مصلحة الصهيونية أو ليس من مصلحة اليهود . وأصبحت الصحف والأقلام العربية مسخرة لليهود . هذه عبودية لا تطاق ، واستخذاء عربي لليهود لا يكاد يصدق .

ولا ندري لماذا لا تكون الشركة الوسيطة بين المعلنين والصحف وطنية بحتة وتكون مكاسبها لمساهمين وطنيين ويكون الكتاب أحراراً فيما يكتبون لمصلحة بلادهم وإخوانهم العرب .

ترى هل فطن الصحفيون لهذا الضرر العظيم من جراء استلام اليهود لزمام الصحافة في البلاد يسيرونها على هواهم ؟ أم أنهم فطنوا ولا يبالون ؟ ألا يبالون أن يكون مصير القضية العربية وجميع القضايا المخالفة لمصالح اليهود الصهيونيين الخيبة ؟

أم أنهم لا يبالون بالمصاب إلا إن وقع ، ولا يبادرون إلى تدارك الخطر ، ألا متى أبرق الخطر وأرعد ، وحينذاك لات حين تداركه .

من المدهشات أن يتولى أمر الدعايات بالإعلانات والمقالات والأخبار في الصحافة العربية لأجل القضية الفلسطينية يهود هم أعداء العروبة الألداء .

أما وجد بين العرب أناس لهم ذكاء اليهود وماليته كمالية اليهود وحيلة كحيلة اليهود لكي يحلوا محل اليهود في هذه السيطرة على أقلام كتابنا وصحافتنا وإدارة الدعاية عندنا .

لماذا لا يتبرى أناس ممن يفهمون فن الدعاية ويؤلفون شركة كبرى لتولى هذا العمل المنتج أي الوساطة بين المعلنين والجرائد ، ثم تنازع الشركة اليهودية هذا العمل ؟ وحينئذ على جميع جرائدنا أن تتحول من الشركة اليهودية إلى الشركة الوطنية المصرية الخالصة .

لابد أن يتسرع بعض القراء إلى الاعتراض على هذا المشروع الوطني بأنه إذا برز إلى حيز الفعل انقطع اليهود عن الاعلان في الجرائد بواسطة هذه الشركة الوطنية . فلينقطعوا إذا كانت الجرائد لا تقبل وساطة الشركة اليهودية بتاتاً ولا تقبل إلا وساطة الشركة الوطنية . لا يستطيعون أن يقاطعوا الصحف لئلا تتأثر المتاجر والمصالح الوطنية بالدعاية وحدها فترويج هذه وتكسب تلك ، لا يستغنون عن الدعاية والإعلانات ، وليس لهم إلا الصحف الوطنية ووساطة الشركة الوطنية .

المشروع لا يحتاج إلا لقليل من الوطنية :

١ — يتصدى له متمولون قليلون ، قد يتراءى لهم في أول الأمر محتاجاً إلى شيء من التضحية ، ولكنه متى استتب رأوا أنه نتج بلا تضحية .

٢ — على جميع الجرائد أن تتحول إلى وساطة الشركة الوطنية للحصول على الاعلانات . والشركة تخدمهم كما تخدمهم تلك

٣ — على التجار الوطنيين وأصحاب الأعمال أن يقبلوا على هذه الشركة في الدعاية لهم بالاعلانات وغيرها .

فأين الوطنية وأين الوطنيون ، ينقذون الدعاية العربية من براثن الصهيونية ؟ لماذا لا تسعى نقابة الصحفيين هذا السعي

إن الصهيونيين عازمون على استعباد الشرق العربي كله وسوف ينجحون إذا لم تنهض لمناهضتهم في الحال .

نقولا الحداد

حول جدل فى الجامعة

للأستاذ عبد الفتاح بدوى

— ٣ —

يقول الأستاذ محمد خلف الله فى صفحة ١٢٩٨ من مجلة الرسالة أن نقاشنا إياه ينقسم قسمين مسائل وشتائم وأنه يعرض عن قسم الشتائم ويناقش المسائل .

وليس فى مقالينا اللذين ناقشناه فيهما شتائم فإننا نعيذ قلمنا أن يكون شتاماً فإن الشتائم عيب الشاتم لا عيب المشتوم ولكنه العلم يا أستاذ وهو الجدل العلمى الناصح والعلم لا يعرف الملق ولا التأنق ولا الفرك فى الذروة والغارب إنما العلم هو الألفاظ على دلالاتها : حق وباطل ، وجاهل وعالم ، وصادق وكذاب ، وأمين وخائن وهو سوق الحجة وإقامة الدليل ؛ ولو أننا فى غير مقام علمى لأسبغت عليك من لين الحديث ونعومة الأسلوب ما فى الحرير من طراوة وما فى النسيم من لطف رقيق ؛ ألست ترى أننى حين أتكلم عن شخصك أقول الأستاذ خلف الله وما أنت بأستاذ ؟ فأما إذا وصلنا إلى تحديد الأوصاف فى مقام الجدل العلمى فاعذرنى فالتبعة على نصاحة العلم وعدم قبوله الملق والدهان .

١ — وقال : المعروف دينياً ألا نستنتج من نص قرآنى أمراً لم يقصد إليه القرآن . فقلنا له أن كل كلام لابد له من دلالات ثلاث المطابقية والتضمنية والالتزامية ولا يملك أحد فى الدنيا أن يجرد كلاماً من هذه الثلاث الدلالات أو من بعضها ما دام يملك مسكة من العقل ؛ فجاءنا فى العدد الذى ذكرنا يقول بنصه « ولا نفهم كيف يكون لكل كلام دلالات ثلاث تقصد منه مع أن عبارة المتن — الذى يعرف بعلم البيان — والإيراد المذكور لا يتأتى بالوضعية أى بالدلالة المطابقية ويتأتى بالعقلية أى التضمنية والالتزامية » .

وأنا وأهل العلم جميعاً لا يعرفون متنا اسمه علم البيان « أليست هذه جرأة منى يا أستاذ خلف ؟ » ذلك لأنه لا يوجد متن هكذا وإلا فأين هذا الهراء يا أستاذ ؟

ولا أركك تتخبط كثيراً بل أصحح لك المقام ؛ إنها عبارة مستفيضة فى كتب البلاغة « وأظنك لم تدرسها كما تدل عليه عبارتك » تجدها فى تلخيص المفتاح وفى المفتاح وفى الإيضاح وفى ، وفى ؛ بنصها أو قريب منه ؛ وكأن شيطاناً من الشياطين حولك خطف لك هذه الخطفة من علم البلاغة وهو لا يعيها فألقاها إليك وأنت لا تعيها ؛ وأودعتها مقالك وأنت كذلك لا تعيها ؛ وظننت أنك أتيت بشىء وما هو بشىء .

وإذا كانت هذه عبارة من عبارات البلاغة فما لها ولما كنا وما زالنا فيه من مقام الاستنتاج ؟ ومقام الاستنتاج هو مقام الفهم والتفاهم أى تحميل الكلام دلالاته التى لا يكابر فيها إلا غير عاقل أى فى الدلالات المنطقية كما قلت لك فى مقالى الذى ناقشتك فيه فقلت لك ما نصه « أليس القرآن كلاماً له الدلالات المنطقية الثلاث المطابقية والتضمنية والالتزامية التى لكل كلام ؟ » هذا مقام الاستنتاج الذى كنا وما زلنا نتكلم فيه ، وما له ولعبارة البلاغة تدسها فى غير موضعها دساً وتقحمها اقحاماً ؟ ما للتفاهم والاستنتاج ولإمكان استعمال دلالة دون أخرى فى التجوز والاستعارة ؟! عجيب منك هذا . أتعرف أدب البحث والمناظرة يا أستاذ خلف الله ؟ اعلم أن هذا العلم يقول لك : كلامك فى غير محل النزاع فلا معنى له . ولقد جرك الحق أن تصفع نفسك بنفسك فتقول عن نفسك انك لا تفهم كيف يكون لكل كلام دلالات ثلاث تقصد منه وأنا والله لا أستطيع أن أصفك بغير ما وصفت به نفسك أنه الحق والحق لا محيد عنه .

ولقد كنت أظننى أجادل شخصاً فى جو علمى عال فلا أجدنى بعد الذى ذكرت فى مقالك هذا إلا مضطراً أن أتنزل إلى تلميذ صغير مبتدىء فى تعلم المنطق والبلاغة .

إعلم وفقك الله تعالى أن اللفظ المستعمل فى حقيقته يجب أن تثبت له دلالة المطابقة [قطعاً] ومتى ثبتت له دلالة المطابقة ثبتت له دلالة التضمن [قطعاً] ومتى ثبتت المطابقة والتضمن ثبتت دلالة الالتزام [قطعاً] ؛

فإن كابرت فى شىء من هذا فلا كلام لنا ولا لأحد معك إلا أن تتعلم مبادىء المنطق وتسايرالعقول .

أما المجاز والتجوز والاستعارة إلى غير هذا مما قال علماء البلاغة فلا علاقة له بالاستنتاج وإنما علاقته بإرادة نقل الكلام عن معناه الحقيقى إلى معنى غير حقيقى أو بعبارتهم : فى أداء

المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة والفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض أو يزيد .

هذا هو العلم وهذا هو الحق أفقهه ويفقهه العلماء فهل تفقهه أنت أيضاً يا أستاذ خلف الله أو تفقهه أنت والذين معك ؟ وهذه أولى مسائلك التى تكلمت عنى فيها ؛ بل ما زال لها ملحق أذكره لك فإنك تقول عنى : ماذا يكون موقفه من العلم حين يثبت بقرائن مادية يقول بها علماء الجيولوجيا من أن هذا البيت [الذى ببكة] ليس أول بيت وضع للناس ؟

وإنى سائلك أنت ؛ أهذا كلام منهج علمى ورجل يتكلم فى العلم ؟ من يقول أن العلم ينبنى على قرائن يا أستاذ خلف الله ؟ إن العلم لا ينبنى إلا على حقائق ، أما الذى ينبنى على القرائن فهو الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً فلو قامت قرائن طبقات الأرض كلها بل وطبقات الهواء والماء والسماء ما دلت إلا على قرائن وظنون لا تنفع فى العلم ولا تقدر فى العلم وإنما الذى يقدر ويعلو ويصول قول الله تعالى : (إن أولَ بيت وضع للناس للذى ببكة) ولست بلائمك على هذا التدهور الفكرى الذى تبنى فيه علماً على قرائن فإن رسالتك كلها من هذا القبيل أدلتها : الفرض والحدس ؛ والتخمين ؛ وأحب أن ألفت الذهن ؛ ومعنى ذلك كما يلحظ القارىء ، وهلم جراً من العبارات الجوف المزوقات ، ثم النتيجة التى تبنيها على هذه العبارات المزوقات الجوف تجعلها حقائق وتسمها بسمات اليقين ؛ عجائب يا أستاذ خلف الله عجائب

اعلم وفقك الله تعالى أن العلم لا ينبنى على قرائن بل ينبنى على حقائق فإن لم تصدق هذا فابحث أنت عمن يصدقك فى ابتناء العلم على قرائن وظنون ولن يصدقك إلا مجنون ؛ أولم تقرأ أنت المقال الذى تحيلنى عليه « القرآن والنظريات العلمية » ؟ اقرأ وتعلم وافقه ورد وتكلم ...

٢ — والمسألة الثانية التى تناقشنى فيها أنك قلت أن القصص القرآنى من المتشابه فقلت لك : لسنا نعرف أحداً من المسلمين يقول أن القصص القرآنى من المتشابه .

وجئت فى مقالك آنف الذكر صفحة ١٢٦٨ من مجلة الرسالة تضع بين يدى نصوصاً كثيرة تنطق بأن من العلماء المسلمين من يقول بأن القصص القرآنى من المتشابه . أوما كان أجدر بك أن تضع الأمور فى أنصبتها ولو مرة واحدة ليكون الجدل أو النقاش علمياً لا مهاترة .

وأنا واضع لك الأمور فى أنصبتها ومعيد عليك وعلى الناس جميعاً ما قلته سابقاً أنه لم يقل مسلم ولا يقول مسلم ولن يقول مسلم أن القصص القرآنى من المتشابه رغم ما نقلته أنت من النصوص التى وعيتها أنا وعرفتها قبل أن تراها بعينيك .

لقد كتبت فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٧ أولى مقالاتك التى تقول فيها بعد كلامك عن الصلة بين القرآن والتاريخ ما نصه : « على أن هذه المسألة قديمة ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه » و (أل) فى كلمة (المسألة) المتقدمة للعهد أفاهم أنت ؟ والعهد ههنا ذكرى ؛ أفاهم أنت ؟ والمذكور المتقدم صلة القرآن بالتاريخ

وفى ٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧ نشر فى الرسالة تقرير الأستاذ أحمد أمين بك وفسر هذا التقرير الصلة بين القرآن والتاريخ فى نظر الأستاذ خلف الله وفى رسالة الأستاذ خلف الله وهذه الصلة عنده أن القرآن لا يتقيد قصصه بالواقع وأنه يحتوى أساطير وأنه ينطق الشخص فى قصة بشىء وينطق سواه بهذا الشىء فى نفس القصة فى مكان آخر ، وأنه ينطق قوماً بما لم ينطقوا به ويقوّلهم ما لم يقولوا وأنه يقول على شىء لم يقع إنه وقع وأنه قد لا يكون للقصص مدلول واقعى أصلا وإنما هو حكاية من واقع نفسانى وأنه لا يتحرى الصدق العقلى والواقع .

وفى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٤٧ كتبت يا أستاذ خلف الله مقالا ثانياً ثبت منه جميع ما قاله الأستاذ أحمد بك أمين فى تقريره فأصبحت الصلة بين القرآن وبين التاريخ على أتم وضوح وصارت المسألة التى قال عنها الأستاذ خلف الله أنها مسألة قديمة هى مسألة الصلة بين القرآن والتاريخ على هذا المعنى الجلى الواضح أن القرآن لا يتحرى الصدق العقلى ولا الواقع ؛ وأنه مملوء بالأساطير طالما أن فيه القصص الأسطورى ؛ هذه هى المسألة التى يقول أنها مسألة قديمة فإذا ضم إليها بقية الجملة وهى قوله ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه كان الكلام الذى ينصرف إليه نقاشنا هو ما ادعاه الأستاذ خلف الله من أن مسألة الصلة بين القرآن والتاريخ بالمعنى الذى ذكره من المتشابه ؛ أليس كلامنا كله فى مناقشة كلام الأستاذ خلف الله أم هو فى مناقشة كلام من لا كلام لنا معه ؟!

وأعود بك مرة أخرى فأقول : لسنا نعرف أحداً من المسلمين بل أزيد فأقول أنه لم يقل أحد من المسلمين ، ولا يقول أحد من

المسلمين ، ولن يقول أحد من المسلمين إن القصص القرآنى من المتشابه ؛ وما دمت تحاول الإفلات من النقاش العلمى إفلات المهاترة فإنى أزيد لك الكلمة التى هى مكان العهد فأقول لك أى بالمعنى الذى تذكره فى قولك « على أن هذه المسألة قديمة ... » والتى فسرها تقرير الأستاذ أحمد أمين بأقوالك فيما كتبت بعد فإنى لم أرد عليك إلا فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٧ بعد مقالين لك وبعد تقرير الأستاذ أحمد بك أمين .

أما التشابه بالمعنى الذى يعرفه مقاتل أو الطبرى أو سواهما فليس من محل النزاع كما يقول أهل العلم فكيف ساغ لك أن تضع شيئاً مكان شىء ؟ لكن هى الطريقة التى دأبت عليها فى مقالاتك وفى رسالتك ألم أثبت عليك التدليس فى النقل والخيانة فى العلم ؟

وكيف طاوعت لك نفسك أن تجعل المتشابه عند هؤلاء القدامى هو الذى نفيته فى مقالى مع أننى أثبته لك فى مقالى ؟ ! ألم أنقل لك عبارة النار وفيها قال الأستاذ الإمام : إن الآيات متشابهات ؟ أو لم أقل لك أنا فى نفس المقال ما نصه « فالأستاذ الإمام لم يقل أن القصص القرآنى من المتشابه بل قال إن الآيات من المتشابه» وفسر هذا التشابه ... »

هذه هى المسألة الثانية التى تناقشنى فيها وما زال علم أدب البحث والمناظرة يقول لك إن كل النقول التى نقلتها فى غير محل النزاع فلا معنى للاستشهاد بها وإنما يفصل فيها المثل المشهور أريه السهى ويرينى القمر بل لهذه المسألة ذيل قصير فإنه أى الأستاذ خلف الله يقول إنه يعرض على أن الآمدى أورد رأى الأصوليين فى القصص فى كتابه [الأحكام] وليس كتاب اسمه [الأحكام] إنما هو [الإحكام] وقد درست هذا الكتاب مع كتاب ابن الحاجب أعظم كتب الأصول فى القسم العالى بمعهد الاسكندرية ، بل لعلها غلطة مطبعية ، بل الأشبه أنها غلطة الأستاذ وأنه ينقل أو ينقل له من حيث يعرف أو لا يعرف فقد سألت مطبعة مجلة الرسالة إن كان لديها [لام ألف] بهمزة قطع من تحت فأرانيها مدير المطبعة ، والخطب فى هذا الذيل يسير على كل حال ؛ بيد أنها الدقة والاستنتاج أردت أن ألفت إليها ذهن الأستاذ خلف الله .

٣ — والمسألة الثالثة التى يناقش فيها أنه يقول : إن من المفسرين من لا يلتزم أن كل ماورد فى القصص القرآنى من أحداث غير واقعة فقلت له : ولا نعرف أحداً من الأصوليين ولا من المسلمين لا يقول بأن ماورد فى القرآن من القصص إنما هو أحداث وقعت وحوادث هى خلاصة الحقيقة التى وقعت فى سوالف الزمان .

ولقد قال هذا ؛ وقلت له هذا ؛ وجاء اليوم يرد علينا فيقول وإقحام الشيخ الأصوليين هنا لا معنى له ؛ فلماذا لا معنى له ؟ وكلامك هو الذى لا معنى له ؟ أليس الأصوليون قد تكلموا فى القصص كما تكلم فيه سواهم فكان متشابها عندهم أو غير متشابه كن ذكورا يا أستاذ خلف الله فقد نقلت تعرضهم للقصص قبل ذلك بسطور قلائل .

ثم استمعنا كلام المفسرين إذ يقررون أن من القصص القرآنى أحداث [هكذا بالرفع فليسأل الأستاذ خلف عن سبب ذلك] لم تقع ؛ وإنى مستمع ومنصت ومصيخ قال : جاء فى ابن كثير ج ١ ص ٥٩٠ بعد تفسيره لقوله تعالى « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ... الخ ما نصه (عن ابن جريج عن عطاء أن هذا مثل) وقد وضع على لفظة مثل رقم (١) وكتب على الهامش بآلة الطباعة هذه العبارة ، يعنى أنها ضرب مثل لا قصة واقعية ...

أين الاستدلال يا عباد الله فى نقل الأستاذ خلف الله ؟ عطاء يقول إن هذا مثل ، والمفسرون جميعاً يجعلون القصص مقابلا للمثل وقد نقلت يا أستاذ خلف ذلك فى نفس هذا المقال غير مرة فى أى عقل يقال لك إن هذا ليس قصة وإنما هو مثل فتقول أنت إن هذا الذى قيل لك دليل على أنه قصة وعلى أن القائل بهذا القول يقول إن فى قصص القرآن أحداثاً لم تقع ؟ ! ارحموا المعقول ارحموا المعقول .

وأنا آخذ بأذنك مرة أخرى وقائل لك يا أستاذ خلف الله من الذى وضع رقم (١) على الهامش ؟ وكيف ساغ لك أن تجعله من الاستدلال فى كلامك مع أنه صفعة لك لا ترحمك ؟ ألم يقل لك الهامش [على عدم اعتدادى به كمستند علمى] أنه ضرب مثل لا قصة واقعة — أفلا يوجهك هذا الهامش (أى يضربك بالكف على وجهك) فيصرخ فى وجهك يقول القصة واقعة وضرب المثل قد يكون بغير واقع ؟ انتبه يا أستاذ خلف الله انتبه انتبة أيقظك الله الذى أيقظ أهل الكهف لا السبعة النيام .

ثم نستمع إليه أى الأستاذ خلف الله مرة أخرى يقول : وجاء فى الرازى ج ٢ ص ٣٣٣ نسخة العالة بدار الكتب وذلك بصدد الحديث عن قصة إبراهيم والطير [المسألة الثانية أجمع أهل

بحث فى الكولرا

للدكتور فضل أبو بكر

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

العلاج وطرق الوقاية :

إن الحكمة القائلة « الوقاية خير من العلاج » هى من أصدق الحكم ويجب تطبيقها على الدوام وعلى سائر الأمراض . وهى أصدق ما تكون فى حالة الكولرا إذ من السهل جداً الوقاية منها وعلى النقيض من ذلك يصعب علاجها وقد يتعذر إذا حل مكروبها بالإنسان وظهرت عوارض المرض إذ لم يوجد إلى الآن دواء حاسم غير الدواء الواقى كما وجدت الكينا للملاريا والطرطير للبلهارسيا والزرنيخ والزئبق للزهرى والبنسلين لكثير من الأمراض ليس من ضمنها الكولرا من سوء الحظ .

أما العلاج الواقى الذى تتوقف عليه نجاة الفرد ونجاة المجموعة فهو الحقن بالمصل الواقى « Vacsin » يحقن الفرد باللقاح مرتين تحت الجلد يكون مقدار الأولى سنتيمترا مكعباً وبعد ثمانية أيام من الأولى يحقن مرة ثانية بكمية قدرها سنتيمتران مكعبان . تبدأ مناعة الجسم فى اليوم الخامس وتكون فى أشدها بعد اليوم الخامس عشر ويستمر مفعولها مدة ستة أشهر .

أما تطعيم « حاملى المكروب » فقد وجد فى بعض الأحيان غير كاف ويمكن معرفة هؤلاء « الحملة » بتحليل البراز مرتين وتكون المرة الثانية بعد أسبوع من الأولى ويجب أن تكون النتيجة سلبية فى المرتين وإلا كان الفرد من حامل المكروب وفى هذه الحالة زيادة على حقنهم يعطونهم مايسمونه «بالباكتريوفاج» أى آكل البكتريا ولكل مكروب آكل خاص .

طرق الوقاية :

١ — حقن جميع الأفراد فى المناطق التى يظهر فيها الوباء أولا وتعميم الحقن على جميع السكان على قدر الامكان .

التفسير على أن المراد بالآية قطعهن ... غير أبى مسلم فإنه أنكر ذلك وقال إن إبراهيم عليه السلام لما طلب أحياء الميت من الله تعالى أراه الله تعالى مثالا قرب به الأمر عليه والمراد بصرهن إليك الإمالة والتمرين ...

يا عباد الله ويا أهل العقول — مرة ثانية — أين الاستدلال بأن فى القصص القرآنى أحداثاً لم تقع ؟

يجمع المفسرون على أن هذه قصة واقعية فيقول الأستاذ خلف الله أن ذلك الإجماع دليل على أن القصة غير واقعية

ويقول أبو مسلم أنها مثل لا قصة وأن الله تعالى أرى إبراهيم مثالا يقرب به الأمر فيقول الأستاذ خلف الله أن قول أبى مسلم أنه مثل لا قصة دليل على أنه قصة وأنها غير واقعة وإن فى القرآن قصصاً أحداثه لم تقع .

إسمع يا أستاذ خلف الله لا تعليق لى على استدلالك إلا أن أقول لك المثل « احترت يا بخراء من أين أقبلك » . البخراء لا تقبل لأن رائحتها لا تطاق قل شيئاً يشبه العلم وإلا فاسكت

ثم نستمع مرة أخرى فإذا به يتحكك كما تحكك أستاذه المشرف على رسالته فى الأستاذ الإمام محمد عبده ويريد أن يسمعنا من قوله شيئاً

ولقد كنت كتبت المقال فى استعراض أقوال الإمام محمد عبده كلها منذ أول قصة الخليقة إلى آخرها وبينت تمام البيان مأتى الخطأ الكبير الذى تردى فيه كاتب رسالة الأستاذ خلف الله ومشرفها على السواء ، ولكن اعجلنى الرد ولفتنى على حد تعبير الأستاذ خلف الله عما سواه

فليكن الكلام فى كل ما قال الأستاذ الإمام محمد عبده وهو كلام كله وجاهة وعلم لمن قرأه ووعاه إلى العدد القادم إن شاء الله.

ألست ترى يا أستاذ خلف الله حتى بعد هذا أيقنا أولى أن يصل إلى الرشد؟ أما فقه أسرار القرآن الكريم فلا نقول لك فيه إلا ما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : أما والله لا نغمز من هذه الجهة ؛ سنريك منه مالم تكن تعلم وكان فضل الله علىّ عظيما .

وإن شئت علمك منه كثير من تلاميذى

عبد الفتاح بروى
كلية اللغة العربية

٢ — عزل المريض فى الحال بأماكن العزل بالمستشفيات الخاصة بالأوبئة .

٣ — منع التعرض لجثة المريض بحال من الأحوال واقتراب ذويه منها لغسل الجثة وتكفينها والمشى فى موكب لدفنها ، بل المصلحة العامة — وهى فوق كل الاعتبارات — لا تسمح بذلك .

٤ — تطهير كل إفرازات المريض قبل أن يدفع بها إلى المراحيض كذلك تطهير كل ما لامس المريض عن طريق مباشر أو غير مباشر بإحدى المواد الكيماوية وهى كثيرة متوفرة .

٥ — تطهير الفرش والأثاث كذلك تطهير ملابس المرضين والممرضات وكذلك أحذيتهم وبعناية تامة يوميا وعدم السماح لهم بالأكل فى حجرات المرضى .

٦ — مراقبة الناقهين والبحث عن « حاملى الميكروب » وفحصهم طبياً .

٧ — تطهير الخضروات والفواكه وقد يكون أضمن وأسلم طبخها قبل استعمالها . كذلك يستحسن عدم الإفراط فى الأكل أو تعاطى الأطعمة عسرة الهضم أو المواد التى تلهب الأغشية المخاطية للامعاء مثل التوابل والبهارات .

٨ — العناية التامة بمياه الشرب وتحليل عينات منها كل يوم أما السكان بالقرى الذين لم يتوفر عندهم الماء الصالح والذين يشربون من ماء الأنهر والآبار فيجب غلى الماء أو تعقيمه بمادة مطهرة قبل شربه أو استعماله بطريقة ما

٩ — محاربة الحشرات ولا سيما الذباب بجميع الطرق المؤدية لإبادته وحفظ الأطعمة بمعزل عنه . كذلك حرق القمامات وفضلات الأكل أولا بأول وهى الأوكار والمراتع الخصبة للذباب يقتات منها ويبيض على هاماتها .

هذا بحث موجز عن وباء الكوليرا ذكرنا فيه باختصار بعض ما يهم الجمهور معرفته عن هذا الداء الوبيل وعن طرق الوقاية منه عسى أن يكون فيه بعض النفع .

ولا يفوتنى أن أذكر اهتمام الرأى العام الدولى بهذا الداء وقد علم القارىء مما سلف أن ظهور وباء فى بقعة من الكرة الأرضية فيه خطر يهدد سلامة العالم بأسره وخصوصاً أوربا وقد أضحت جائحة عارية بعد الحرب لهذا بادرت الدول الغربية لنصرتنا ومدت يدها بالمعونة لنا كما تقضى بذلك الإنسانية وكما تتطلب ذلك سلامتها نفسها وسلامة الإنسانية جمعاء .

غير أن بعض المستعمرين بدأوا يستغلون هذا الحادث استغلالا دنيئاً مغرضاً وأداة للدعاية ضدنا كما يبالغون فى نعت عامة الشعب بالجهل والتأخر ونلمح من حين لآخر خلال ما يكتبون شيئاً من هذه المظاهرة وذلك ما يؤلمنا حقاً ويذكرنا بقول من قال .

كل المصائب قد تمر على الفتى ... وتهون غير شماتة الحساد

مع أن المنصفين من الغربيين أثنوا على ما تبذله الأمة حكومة وشعباً من مجهودات جبارة لمكافحة الداء إلى أن قال بعض الأمريكيين بأنه لو أصيبت أمريكا بهذا الوباء لما أمكنها أن تعمل أكثر مما يعمله ولاة الأمور فى هذا الصدد .

ولكن بعض المستعمرين لا يحلولهم إلا أن يرمونا بالجهل والتقهقر . الجهل الذى بدأنا نحاربه والذى كان الاحتلال يشجعه ويذكى ناره . الجهل الذى كان « دنلوب » يحمل لواءه ويحمى حماه بل يحارب من يحاربه هذا ويعلم القارىء مما تقدم بأن هذا الوباء لم تنج منه أمة وقد اكتسح العالم عدة مرات ولم يكن وقفا علينا دون غيرنا ولا أكون مبالغاً إن قلت إننا كنا أقل إصابة من غيرنا من الدول الأوربية خلال الأوبئة الماضية مع كوننا أقرب منهم إلى الهند موطن الداء ومهبله .

إن هذا الوباء مهما اشتدت وطأته لا يمكنه أن يلهى شعب وادى النيل عن عزمه لنيل مطالبه وهى جلاء الدخيل عن أرضه بدون قيد ولا شرط بل بعكس ذلك من شأنه أن يزيدنا كراهية وحنقاً على الدخيل المغتصب سيما وقد تحددت مسئوليته عن نشر هذا الداء ولو بطريقة غير مباشرة أو مقصودة مهما تنصل من ذلك .

إن سكان الوادى سوف يقضون بإذن الله على ميكروب الكوليرا كما سوف يستأصلون ميكروب الاستعمار ويفتكون بجراثيمه وهم يعلمون أنها أدهى وأشد فتكا من الكوليرا .

(باريس) دكتور فضل أبو بكر

الفن القصصى فى القرآن

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

وأخيراً عزمت أن أكتب فى هذا الموضوع ، بعد أن رأيت الذين كتبوا فيه لم يتناولوه من الناحية التى يجب أن تتناول فيه ، وتحمل المخطىء يلبس خطأه فلا يسعه إلا أن يعترف به ، وهذا هو الذى يجب أن يؤخذ به المخطىء فى الإسلام ، لأنه دين الإقناع ، ولأن وسيلته هى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، فإذا جاوز من يريد الدفاع عنه هذه الوسيلة أضر به من حيث يريد نفعه ، ولا سيما فى هذا العصر الذى صار الناس يفتنون فيه هذه الوسائل فى المسائل الدينية ، ويأخذونها على أصحابها أقسى مؤاخذة

وإنى أحب أن أنبه الذين يتخذون هذه الوسائل إلى أنها تؤدى إلى عكس مايقصدون ، وتحمل بعض الناس على أن يشتط فى رأيه ، ليقسوا فى الحملة عليه ، ويذهبوا إلى أنه ملحد يجب أن يعاقب أشد عقاب ، فيصير فى نظره ونظر بعض الناس مثل غاليلو وغيره من فلاسفة أوربا ، فقد اضطهدهم رجال الدين فى أوربا على بعض آرائهم ، فصار هذا الاضطهاد محمدة من محامدهم ، وصار مذمة لمضطهديهم .

فلنقتصر على تخطئة من يذهب به عندنا حب الشهرة إلى مثل ذلك الشطط فى الرأى ، ولنبخل عليه بما يريد من رميه بالإلحاد والزندقة ، حتى لا نمكنه من أن يظهر بين الناس بما يحب ، أو يجعل نفسه ضحية من ضحايا الرأى ، فليس أوجع فى نفسه من أن نأخذه فى رفق حتى نبين للناس خطأه ، وحتى يرى أنه لا سبيل له إلا أن يعترف بالخطأ فيعترف ، فإن لم يعترف على نفسه كفاه حكم الناس عليه ، وللناس عقول تفهم به والحلال بين والحرام بين .

لقد أراد بعض الناس أن يرد على صاحب رسالة الفن القصصى فى القرآن ، ففتحوا أمامه المجال فى الرد عليهم ، فأردت أن أقوم بما يجب على فى هذا الموضوع ، ليصل الناس فيه إلى رأى حاسم ، وينصرفوا عنه إلى ما هو أجدى عليهم ، ويعرفوا أن صاحب هذه الرسالة لم يكن له أن يطفر إلى الكتابة فى موضوع القرآن ، وهو يجهل تعريف التناقض فى المنطق ، ويبنى على جهله به حكما خطيراً فى قصة إبراهيم عليه السلام ، كما جاء فى التقرير الذى رفعه الأستاذ أحمد أمين إلى عميد كلية الآداب ، وقد نشر بالعدد — ٧٤٤ — من مجلة الرسالة الغراء[1] ، وهو يدل على مستوى صاحب هذه الرسالة فى العلم ، وعلى أنه جرى فى رسالته على هذا المنوال ، فقذف بنفسه فى بحر لا يحسن السباحة فيه ، ولم يخض فيه إلا فحول العلماء ، وأكابر الحكماء ، من الطبرى إلى الزمخشرى إلى الرازى ، إلى أمثالهم فى علمهم وحكمتهم .

فقد ذكر الأستاذ أحمد أمين فى تقريره أن صاحب هذه الرسالة يرى أن القصة فى القرآن لا تلتزم الصدق التاريخى ، وإنما تتجه كما يتجه الأديب فى تصوير الحادثة تصويراً فنياً ، بدليل التناقض فى رواية الخبر الواحد ، مثل أن البشرى كانت لإبراهيم أو لامرأته .

فدعوى هذا التناقض تدل على أن صاحب هذه الرسالة لا يعرف تعريف التناقض ، وعلى أنه سار فى رسالته بهذا العلم الذى لا يزال فى طور الطفولة ، فضل الصواب ، وخبط خبط عشواء ، والقرآن أجل من أن يتناول بمثل هذا العلم ، وأخطر من أن يحكم فى مسائله من لا يزال يجهل تعريف التناقض

لقد قال الله تعالى فى البشرى بهذا الغلام (وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) الآية — ٧١ — من سورة هود ، وفى هذه الآية كانت البشرى لسارة امرأة ابراهيم عليه السلام

ثم قال فى هذه البشرى (قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم) الآية — ٥٣ — من سورة الحجر ، وقال (فبشرناه بغلام حليم) الآية — ١٠١ — من سورة الصافات ، فكانت البشرى فى الآيتين لإبراهيم عليه السلام .

فهل تبشير سارة مرة بهذا الغلام وتبشير إبراهيم مرة به من التناقض الذى يصح أن تضرب به قصة إبراهيم مثلا للقصة التى لا يلتزم فيها الصدق التاريخى ؟ اللهم لا ، لأن التناقض اختلاف قضيتين فى الإيجاب والسلب اختلافاً يلزم لذاته من صدق إحدى القضيتين كذب الأخرى ، فلا بد فيه من الاختلاف فى الإيجاب والسلب ، ولابد فيه من الاتحاد فى الموضوع والمحمول وقيودهما ، وليس فى هذه القصة اختلاف فى قضية البشرى من جهة الإيجاب

(١) قد اعتمد الأستاذ أحمد أمين فى رأيه فى هذه الرسالة على أن ما فيها يثير الجمهور ، وهذا قد بعد منه تهرباً عن إبداء الرأى الصريح فيها.

٥ — من ذكرياتي في بلاد النوبة :

سد أسوان

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

لا يعنيني الحديث عن سد أسوان ، إلا بقدر اتصاله من قريب ، ببلاد النوبة . وإذا كان هذا السد العظيم ، قد لعب دوراً هاماً في حياة القطر الزراعية ، فزاد القدر المنزرع إلى أضعاف أضعافه ، وإنعاش الحياة التجارية ، والاقتصادية ، وزيادة الثروات المصرية إلى حد التضخم في كثير من النواحي ، حتى أصبح هذا السد بحق مفخرة من مفاخر بلادنا المصرية ، له شهرة عالمية طائرة ، وصيت دولي ذائع — إذا كان قد لعب هذا الدور في حياة القطر ، فإنه قد لعب دوراً آخر في حياة بلاد النوبة ، إحدى مناطق قطرنا العزيز ، ولكنه مع الأسف دور عكسي على طول الخط ، وامتداد الطريق . ! !

وبيان ذلك ، أن منطقة النوبة لم تكن تعرف قبل سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وألف شيئاً عن هذا السد ، وإن كانت بعض الأفكار قد اتجهت إلى الانتفاع بهذا الشلال الطبيعي قرب أسوان ، وبخاصة وأن مياه الفيضان تتدفق في موعدها من صيف كل عام ، حاملة الغرين ، والطمي الذي يكسب الأرض خصباً ، والزرع نماء ونضرة ، ويفيض بالخير والبركات في أنحاء البلاد المصرية...

ومما هذا الشعور ، وكبر ذلك الإحساس ، فرئي أن ضياع مياه النيل في البحر الأبيض المتوسط عبث لا طائل تحته ، ولا غاية ترجى منه ، وأن في الإمكان الإفادة من هذه المياه طوال أيام السنة وبخاصة وقد أصبحت البلاد تزرع القطن من أيام محمد علي باشا ، وغيره من المحصولات التي تتطلب ريا دائماً ...

وولدت الفكرة ، فكرة إقامة خزان قرب أسوان ، على الشلال الأول ، وبدأ العاملون يبحثونها سنة أربع وتسعين وثمانمائة وألف ، وكللت بالنجاح ، وتم بناء السد سنة ثنتين وتسعمائة وألف ، بطول قدره خمسون وتسعمائة وألف متر ، وبه ثمانون ومائة فتحة .

والسلب ، فلا تكون من التناقض الذي يلزم فيه صدق إحدى القضيتين وكذب الأخرى ، وإنما كان أن كلا من إبراهيم وامرأته بشر بهذا الغلام ، وقد تكررت هذه القصة في هذه السور ، فذكرت في بعضها بشرى إبراهيم به ، وذكرت في بعضها بشرى امرأته به ، تنويعاً في الأسلوب ، وتصريفاً في القصة ، لمقامات تقتضي ذلك التنويع ، وتستدعي ذلك التصريف

ولاشك أن صاحب هذه الرسالة قد سار فيها على هذا التخبط في الحكم ، لا يفرق بين القصص التي نص القرآن على وقوعها ، وبين الأمثال التي يجوز فيها الوقوع وعدمه ، وهي أمثال لا أساطير وقد ورد كثير منها في القرآن أيضاً ، ولكن صاحب هذه الرسالة لم يرزق قوة التمييز بينها ، فخبط فيها خبط عشواء ، وسقط سقوط من يتناول ما هو فوق طاقته .

لقد ذكر الله تعالى قصة مريم في سورة آل عمران ، ثم قال فيما ذكره منها (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) الآية — ٤٤ — من سورة آل عمران ، وهذا نص قاطع في وقوع هذه القصة ، وذكر قصة نوح في سورة هود ، ثم ختمها بقوله (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) فجعل تلك الأنباء وهي من الغيب من دلائل نبوته ، ولا يصح الاستدلال بها على نبوته إلا إذا كانت صحيحة ، وذكر قصة يوسف في سورة يوسف ، ثم ختمها بقوله (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وهذا نص قاطع في وقوع هذ القصة ، وهكذا غير هذه القصص من قصص الأنبياء ونحوها .

وهناك أمثال يضربها الله تعالى للناس ، كقوله تعالى (ضرب الله مثلا عبداً مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) الآية — ٧٥ — من سورة النحل ، فهذا مثل لا يلزم أن يكون واقعاً ، وكذلك ما أشبهه من أمثال القرآن

وقد أتى صاحب هذه الرسالة فيما فاته من الفرق بين هذين الأسلوبين ، فأساء إلى نفسه ، وأساء إلى علمه ، وأساء إلى جامعته ، وما كان له أن يطفر إلى مثل هذا الموضوع في أول نشأته .

عبد المتعال الصعيدي

وقد لحق الأهلين بعض الأضرار بسبب إقامة السد لأن منطقة النوبة ، ارتفعت فيها المياه فأتلفت الأراضي المنخفضة ، وأغرقت المنازل التي على الشاطىء مباشرة . فعوضتهم الحكومة عن هذا كله ، وبلغت تكاليف إقامة السد ، بما في ذلك التعويضات التي أعفيت الأهلين مليونين وأربعمائة وأربعين ألف جنيه كما أثبت ذلك أحمد خيري بك في مقال له بمجلة الصناعة ...

وبعد مضي زمن قصير ، تآكلت بعض الأجزاء خلف الخزان ، بفعل المياه ، فأنشيء له فرش خلق سنة خمس وتسعمائة وألف ثم سنة ست وتسعمائة وألف كذلك ، وبلغت تكاليف ذلك مائتين وثلاثة وثمانين ألف جنيه . . ! !

وبهذا أصبح السد قوي الدعائم ، وطيد الأركان ، وظل يؤدي رسالته في البلاد نماء ، وخصباً ، ويبعث فيها الحياة والنضرة والنعيم ، ويفيض عليها الخير والبركة ، إذ استفادت البلاد من كمية المخزونة عظيم الفائدة ، وانتفعت بها جليل النفع

وبعد بضعة أعوام من إنشاء السد ، رئي تعليته خمسة أمتار ، لأن تصرف النيل الطبيعي مدة الصيف ، مضافاً إليه كمية المياه المخزونة ، لا تكفي حاجة القطر الزراعية ، وبحث الموضوع من جميع نواحيه ، إذ خيف أن تضر هذه التعلية ببناء الخزان نفسه ، وفي ذلك ضرر ماحق وخطر عظيم ... وانتهى البحث إلى إمكان ذلك . دون حدوث أي ضرر أو خطر ، وتمت التعلية فعلا ، وسميت بالتعلية الأولى ...

ولا جرم أن هذه التعلية أضرت إلى حد كبير ببلاد النوبة . إذ ارتفع منسوب مياه الخزان فأغرق كثيراً من المنازل ، وجرف الأراضي المنخفضة نسبياً وأتلف ما بها من زروع ، فقامت الحكومة للمرة الثانية بتعويض الأهلين عن هذا كله ... وبلغت تكاليف التعلية ، بما في ذلك التعويضات ، مليون وخمسمائة ألف جنيه ...

وكثر عدد السكان ، وبلغ أضعافا مضاعفة بالنسبة لما كان عليه قبل إنشاء السد ، فالرخاء يعم وبركة ، ودعامة من دعائم العمران ، وزيادة النسل ... وقفزت الأرقام من سبعة ملايين ، وتسعة ملايين ... إلى خمسة عشر مليونا بعد إقامة السد بحوالي سبع وعشرين سنة ! !

ولهذا اشتدت حاجة البلاد إلى هذه الكميات المائية التي تذهب سدى ، وتضيع هباء ، فنبتت فكرة التعلية الثانية ... بيد أن هذه الفكرة لم تلق تحبيذاً على طول الخط . بل عورضت معارضة شديدة . ونقدت نقداً لاذعا ، مما دعا الحكومة للاهتمام بأقوال الناقدين ، والمحبذين على السواء . والتروي في الأمر . والاستعداد له

وليس الموضوع من السهولة بحيث يمر مر الكرام ... فأنشأت مكتباً خاصا بذلك سنة سبع وعشرين وتسعمائة وألف كان أهم ما قام به ، إعداد المشروع ، وبحثه من جميع نواحيه ، والنظر في موضوع التعويضات التي ستعطى للنوبيين بعين الرعاية والعطف لما سيلحقهم من اضرار في منازلهم ونخيلهم وأراضيهم الزراعية وجميع مرافقها ، بسبب هذه التعلية .

وأخيراً عرض المشروع على لجنة دولية مكونة من ثلاثة مهندسين عالميين : أمريكي ، وانجليزي ، وسويسري ، وقد وافقت هذه اللجنة على المشروع ، وأقرت تعلية السد تسعة أمتار ، دون إحداث ضرر ولا خلل به ! .

ووقع هذا الخبر بين أبناء البلاد موقعاً حسناً جميلا ، وأنعش كثيراً من الآمال البراقة ، والأماني الحلوة اللامعة ، فمن قريب ستحيا كثير من الأراضي البور ، بسبب هذه المياه التي سيحجزها السد ويمنع تسريحها وضياعها ، وعن قريب تبيع الحكومة كثيراً من الأراضي التي تحتاج إلى إصلاح ، بعد أن تقيم لها المشروعات اللازمة ، من ري وصرف وغير ذلك .

بيد أن هذا الخبر نفسه ، وقع من النوبيين موقعاً قاسيا ... وقوع الصاعقة ، التي تهدم قصور الأماني ، وتقوض صروح الآمال في قسوة وعنف وجبروت ... فهم يعلمون معنى التعلية ، ويفهمونه على وجهه الصحيح . ويدركون تمام الإدراك هذه الأمتار التسعة ، التي سترفع منسوب المياه أمام الخزان ، وتجعل من بلادهم مكانا للخزن ، يخرب ديارهم ، ويجلوهم عن مساكنهم ويلقي بهم في مهب الريح ، تعصف بهم عواصف الأقدار ، وتشتت شملهم دوافع الفرقة . وأهوال الفقر والحاجة والاضطراب ... !

وشرعت الحكومة في تنفيذ التعلية ، وابتدأ العمل في توفير سنة تسع وعشرين وتسعمائة وألف ، على قدم وساق ، وعناية بالغة ، حتى انتهى بصفة عامة في ديسمبر سنة ثلاث وثلاثين

وتسعمائة وألف ، بالغة تكاليف المبانى ، مليونين وستمائة وسبع وعشرين ألف جنيه ... !!

بيد أن هذه التعلية أضرت بمناطق النوبة بالغ الضرر ، بقدر ما أفادت باقى البلاد المصرية ، عظيم الفائدة . ونغمتها جليل النفع إذ اجتاحت مياه الخزن منازل الأهليين كلها ، وجرفت بيوتهم ، وأتلفت مزارعهم ، فعوضتهم الحكومة عن هذا كله ، حسب تقدير قامت به ، وقد بلغت التعويضات بسبب التعلية الثانية الأخيرة مليون وستمائة وخمسين ألف جنيه .

ورأت الحكومة أنها مضطرة لإقامة مشاريع اقتضاها ارتفاع المياه فى أيام الخزن ، وإنشاء مرافق جديدة لهذه البلاد ، ودرست كل مصلحة من المصالح واجبها فى هذا الصدد ، وقامت به على وجه ، وإن لم يكن من التمام والكمال ، فقد أرضى إلى حد بعيد أكثر المخلصين فى هذه البلاد ، الذين يعلمون حقيقة موقف الحكومة ، وما تكبدته من نفقات طائلة فى سبيل إنشاء السد ، إذ بلغت التكاليف لإنشاء محطات الرى ومبان للحكومة مائتين وثلاثة وسبعين ألف جنيه ، فإذا ضممت هذا المبلغ إلى المبالغ السابقة من يوم أن أنشىء السد كان المجموع ثمانية ملايين وسبعمائة وثلاثة وسبعين جنيهاً ، وهو مبلغ ضخم دون ريب ... !!

وأهم المشروعات التى قامت بها مصلحة الرى ، إقامة جسور واقية فى مناطق أبى سمبل لوقايه تسعمائة وخمسة أفدنة تقريباً ، وأدندان لوقاية مائتى فدان تقريباً ، وفى فرسى ، بالسودان لوقاية منطقة حوضية ، مع عمل برابخ رى وصرف ... وإقامة مضخة لرى سبعمائة فدان بمنطقة العلاقى لزرعها زراعة شتوية ... ومضخة لكل من توماس ، وعنيبة بحرى وعنيبة قبلى ، وتوشكى شرق وتوشكى غرب ، ومضخة احتياطية لهذه المناطق ، وذلك لزراعة خمسمائة فدان بكل منطقة لزراعتها زراعة نيلية فقط ، وهذه المضخات مقامة على عوامات ترسو على شاطىء النيل أمام كل منطقة ... وإقامة مضختين بالدكة على عوامة لرى خمسمائة فدان رياً مستديماً . وإقامة مضخات على ثلاث عوامات ببلانة لرى ألف وخمسمائة فدان رياً مستديماً ، وإقامة مضختين ثابتتين ببلانة كذلك لرى سبعمائة فدان رياً مستديماً ...

وقامت مصلحة المبانى بإنشاء مكاتب ومساكن بعنيبة بدلا من مبانى الحكومة التى كانت بالدر مقراً للمركز ومصالح الحكومة المختلفة ، كالمدرسة الإبتدائية ودور للمحكمة الشرعية والتلغراف والتليفون أو البريد ... الخ وأنشأت عدة مدارس أولية وكتاتيب ، ومساجد ، ونقط بوليس ... ونقلت خطوط التلغراف إلى مكانها الحالى ... وأقامت دار الحجر الصحى للمواشى بالشلال (كورنتينا) بدلا من الذى غمرته مياه التخزين

وقامت مصلحة الآثار بتدعيم وتقوية بعض الآثار التى تتأثر من مياه التخزين ...

وهكذا تمت لهذه البلاد مرافقها الأساسية ، التى بعثت الحركة والنشاط فى جميع أنحائها ، وجعلت النوبيين يهدؤون نفساً ، ويرتاحون بالا ، ويعتقدون أن الحكومة مهتمة بأمرهم ، معنية بشأنهم ، عاملة على تحسين حالهم ...

هذه هى الأدوار التى مر بها سد أسوان ، والأثر الذى أحدثه فى هذه البلاد ، إذ قلب نظام الحياة فيها رأساً على عقب . وبدلها بحياتها الأولى ، حياة الهدوء والسكون ، والاطمئنان والاستقرار ، حياة أخرى كلها الكد والجد والسعى والعناء ... وهذه الأدوار تعطيك فكرة واضحة عن قيمة هذا السد العظيم ، الذى أحال تراب القطر المصرى إلى تبر وذهب براق ، ورفع مستوى المعيشة فى البلاد ، وأنعش حياة المصريين أيما إنعاش ، وسيكون فى المستقبل القريب منبع رفاهيتها ورقيها ، عندما يتم مشروع توليد الكهربة ، وفق الله القائمين بالأمر إلى مافيه الخير والصلاح

عبد الحفيظ أبو السعود

إدارة البلديات العامة — مبانى

تقبل العطاءات بمجلس دكرنس القروى حتى ظهر يوم ١٠/١٢/١٩٤٧ عن ترميم مبانى السلخانة وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة فئة ٣٠ مليما نظير مبلغ ٥٠٠ مليم للنسخة الواحدة خلاف أجرة البريد .

٨٣٥٦

فى زوايا الطريق!

دقت إحدى الساعات الكبرى على مقربة منى دقات ثمان والليل بارد الأنفاس وأنا أنقل الخطى فى زحمة الناس على طور الشارع. ونيدة ثقيلة لا من كلال ولا من ضنى ولكن مما كان يثقل قلبى من صور وقع بى عليها هذا النظار اللعين ...

وأريد أيها القارىء أن تقاسمنى بعض ما أثقل قلبى فما يزيده لعمرك ثقلا أن أحمله وحدى ، وكثيراً ما سقت إليك ما أضحكك فإن أنا صببت عليك اليوم بعض همى فلا تكن من الغاضبين ...

هؤلاء غلمان وبنات من أبناء الشارع وبناته قد أقعوا على باب أحد الطاعم يطعمون بأعينهم مع الطاعمين بأسنانهم وقد حرمهم التقمم رفع القمامة من الشوارع حذر الكوليرا ، وهو منظر قد زال عنه معناه لكثرة ما ألفناه ، ولكن هاهم أولاء جماعة ممن يأكلون بأسنانهم جماعة ليسوا من أهل هذا البلد الذى آواهم فأشبههم يأبون إلا أن يبرزوا المعنى الذى غاب فهم يلقون ببعض اللقم والقشور ويلهون ضاحكين برأى هؤلاء الغلمان كيف يقعون عليها كما تقع الكلاب والقطط وكيف يتزاحمون ويختصمون

ومضيت ثقيل الخطى ثقيل القلب فلم أذهب غير بعيد حتى انعطفت عند زاوية فإذا رجل خشبية تمتد إلى جوار رجل من عظام ولحم وإذا صاحب الرجلين قد أسند ظهره إلى الحائط واستراح من بعض همه بغفوة وأمامه علب الكبريت لعله لم يبع منها بما يتبلغ به فنام ، وابنه الهزيل النحيل يدفعه بيده دفعاً رقيقاً ليوقظه لأنه جائع ؛ وألقيت إلى الصبى قرشاً فما وثق منه فى كفه حتى اندفع يوقظ أباه فى شدة وسرعة ليزف إليه البشرى ...

ومشيت ثقيل القلب وئيد الخطى فما هى إلا خطوات حتى وقفت حيال منظركم تمنيت لو رآه كل رجال الفن فهاهو ذا ضرير قد اضطجع حتى أوشك أن يتمدد على سلم دكان مغلق وأسند ظهره إلى دركة ورفع وجهه صوب السماء فانعكس عليه نور مصباح قريب ، ومد يده يستجدى فى صمت لا ينطق ولا يتحرك أية حركة فكان منه فى هذا الوضع تمثال بالغ الروعة لو وقع عليه فنان لما ساوى ذلك عنده وقوعه على كنز فما يصور البؤس شيء أحسن مما تصوره هاتان العينان الغائرتان وهذا الوجه الضارع وهذه اليد المعروقة المرتجفة ، ونور المصباح القوى فى وجهه يجعل من ذلك كله صورة ترى ولا ينهض لوصفها كلام ؛ وجاء غلام فانقض على التمثال كالفرخ الجائع وأخرج فى مثل خطرة الطرف ما فى جيبه من مليمات وقروش وولى لا يلوى على شيء وانتفض التمثال انتفاضة حسبت أن قد تحرك لها رخام السلم ، وأقبل بعض من شهدوا هذا السطو فألقوا إليه من قروشهم ما أذهب روعه..

ومشيت موجع القلب ثقيل الخطى فلم أكد أنعطف عند زاوية أخرى حتى إذا بى تلقاء رجل يزحف على إسته ويديه وقد ثنى إحدى رجليه أما الرجل الأخرى فلم يبق منها إلا جزء من الفخذ قد كشف عنه لأنه موضع « الأعلان » وبرهان العجز عن العمل ، وسر الناس به لا يتألم أحد فيما أرى لأنهم ألفوا أن يردوا مثل هذا كما ألفت أنا ولكنى تألمت وتألمت وأرجو منك أيها القارىء أن تصدقنى أننى تألمت كما أتشفع عندك بكل عزيز لديك أن تتألم مثلى ...

فإن لم يكن آلمك هذا فدونك شيء آخر وقعت عليه عند زاوية أخرى ، دونك شيء ولا أقول رجلا ، فليس ثمة إلا الجذع فقط لا يدان ولا رجلان ، ومع ذلك فهذا الشيء يزحف ويقطع الطوار كله زاحفاً ... يا إله العالمين إنى أستثيبك ! إن لم تكن اللاعبى لمثل هذا فلمن تكون ؟ وفى أى شرع يكون على هذا أن يعمل — أستغفرالله — بل أن يزحف ليكسب قوته وحوله السيارات الفخمة تنهب الأرض باللاعبين بالذهب !

ومشيت باكى القلب بطىء الخطى حتى كنت أمام «جروبى» فإذا بفتاتين من بنات الشارع تتشاجران فى عنف على أعين الناس ، وقد ألقتا ما معهما من ورق اليانصيب ، وأنشبت كل منهما أظفارها فى عنق الأخرى ، وذلك لأن إحداهما قطعت الطريق على صاحبتها فباعت دونها ورقة !

ونظرت فإذا معركة أخرى أشد عنفاً تدور غير بعيد بين فتاتين ناهدتين من خدم المنازل ، وقد شدت كل منهما شعر الأخرى وأهوت عليها بحذائها ، وذلك لأن إحداهما ، كما علمت ،

غلبت الأخرى على عيشها فأخرجتها من عملها واستمتعت بالأجرة دونها ؛ وتقاطر السابلة يشهدون هذه المعركة الكبرى ، وقال أجنبي من المارة لصاحبه وهو يضحك : أنظر... فهذا نذير الحرب العالمية الثالثة ...

والتفت على حرب أهلية ثالثة بين حوذى أوقف جواديه الهزيلين ، ووثب من عربته التي شهدت فيما أحسب القاهرة في عهد إسماعيل ، وراح يصخب في لهجة الحوذية ونغمتهم ، ويطلب إلى الراكب بقية حقه ، وإلا فمن أين يأكل ، ومن أين تأكل الخيل ، وهو يستغيث الله والمسلمين ، ويخوف هذا الذى لا يريد أن يدفع عاقبة الظالمين ، وقد دارت حولهما حلقة من المتفرجين ، والحوذى يتدفق بلاغة ، إذ يصف الغلاء وما صنع بالناس ، وكأن في فمه « ميكروفون » . .

ومشيت ضائق الصدر ، حيران الخطى ، ملء نفسي الألم مما أشهد من مخازى مجتمعنا العظيم ، فإذا أنا تلقاء عتل يستوقفني قل أن رأيت مثله ضخامة وطولا ، له عنق هو وحده أضخم من ذلك الجذع الذى كان يزحف على الأرض ، أما بدنه فيضل البصر في ضواحيه ، ومد إلىّ ذلك المارد يداً تتسع قبضتها لتتلقى حملا أو غلاماً ، وقال في غير تلعثم أو تردد : « يا بيه ... أنا جوعان ... عاوز حق لقمة » ! وحرت والله بين أن أضحك فأسرى عن نفسي بعض ما بها ، أو أن أصرخ في وجهه علّى أنفس عني بعض همى وغلبتني الثانية فقلت : اغرب عني ، فلن يشبعك كل ما في جيبي ، إنك تبني عمارة وحدك ، فهل يصح أن تطلب لقمة !

وبعد ، فيا حكومة ... يا وزارة الشؤون الاجتماعية ... يا جماعات البر والإحسان ... يا دعاة الإصلاح ... يا من تغارون على كرامة وطنكم وسمعة عاصمتكم ... الغوث ... الغوث ... إن جميع ما رأيته في زوايا الطريق في ليلة واحدة ، وعلى أبعاد متقاربة في أهم بقاع القاهرة العظيمة الجميلة مما بينته وكثيراً مثله مما لم أبين يصرخ صراخاً عالياً لمن كان له سمع أن هذا عيب ... اجعلوها من باب الترف ، فأزيلوا عن الطرقات هذا الأذى ، فما أطمع أن تجعلوها من الإنسانية !

الخفيف

في محنة الوباء :

يا للأغنيـــاء للفقراء ! !

للأستاذ فريد عين شوكة

جُهدى ! وما عندى سوى الأقوال
أدعو لمكرُمة ، وحسن فعال

جهد المقلّ ! وأين لى بخزائنٍ
كالأغنياء تفيض بالأموال ؟

لو كان عندى المال ، لم أبخل به
في النائبات ، على رقيق الحال !

الكادحين الرازحين من الطوى
الغارقين بشِقوة وضلال !

***

غفراً سراةَ النيل ! لستُ بحاسدٍ
لكم على فيض الغنى السلسال

كلا ، ولا أنا سائل عن وردِه
أجرى حراماً أم سرَى بحلال

لكن أُعاتبكم لشُحِّ نفوسكم
يوم السباق إلى ندًى ونوال !

هذا الوباء طغى بمصرَ ، فزادها
هولا ، على ما ران من أهوال !

كلُّ الطوائف راعها ! لكنما
ذاقَ الفقيرُ لديه سوء وَبال !

قست الحياةُ عليه ! فهو محطمٌ
نهبٌ لعادية الضنَى الغوّال !

ما بالكم لا تنهضونَ لغوثه
بالمال يرخصُ في أجلّ نضال ؟

أين الوفاء لمصرَ إن لم تبذلوا
في غير تقتير ، ولا إقلال ؟ !

أتبيتُ في فزَع ، وتصبحُ في أسىً
وتظلُّ نهب عواصف البلبال !

والأغنياء الناعمونَ بخيرها
يحيونَ في رَغد ، وراحة بال !

بل أين حق الكادحين لكم من الـ
ـرّاع والصُّناع والعُمّال ؟ !

مُدُّوا لهم كفَّ الحنان ، فطالما
جادوا لكم بجلائل الأعمال

واسعوا إلى مرضاتهم ، لا تنفثوا
في البائس المحروم شرَّ خصال

واستعبدوا الأموالَ ، لا تغدوا بها
أسرَى ، تعيش العمرَ في الأغلال

ما كانت الأموالُ غيرَ وسيلةٍ
للحمد والمجدِ الرفيع العالى

والمال مهما غرَّ سحرُ بريقه
يفنى كما يفنى خِداعُ الآل !

برقٌ يشعُّ ، وفتنة خلاّبةٌ
إن أطمعت فإلى وشيك زوال

فابنوا لكم أسمى المكارم واشتروا
أبقى المحامد في فم الأجيال

(منوف)

فريد عين شوكة

من الشعر السياسي :

إشراقة الفجـــــر

للأســـتاذ محمد عبد الغني حسن

فجر أضاء على إطلامة الزمن تكفي الليالي التي طالت على الوسن
هذا الأذان بشير الصبح في بلد يرن تسبيحه لله في الأذن
يا ثائرين على الأرسان موثقة إن الكريم عدو القيد والرسن
ما كان نومكمو يوماً على وهن أو كان مرقدكم يوماً على ثمن
ولم تكن مصر في أغلال آسرها مأسورة الروح بل مأسورة البدن
يا موكب النصر أغلينا فرائده والمجد لا يشترى يوماً بلا ثمن
ما أرخص الروح في الأوطان هينة
لكنها ســـوى الأوطان لم تهن
ماذا شهدت من (الستين) زائدة إلا الثبات على الأحداث والمحن
تلين كل قناة عند عمزتها لكن قناتك عند الغمز لم تلن
شدت على البأس ما مالت لمختبر عند اللقاء ولا اهتزت لممتحن
كأن صمدتها الأهرام ساعدة أعيا على الزمن الباقي من الزمن
يا نائمين على أمجاد أمـــكمو ماقيمة المجد في اللفات والكفن؟
أما كفى العمر نقضيه مفاخرة على الهياكل أو شدوا على الدمن؟
هبوا أبوتكم قد أعرقت نســـباً
فمن أبو الشمس في إشراقها الحسن ؟
ما قيمة الأمس في ماضي تفطنه إن لم يكن سبباً في حاضر فطن؟
قالوا (الجلاء) فقلت العبء أثقله عند التفرد بالأعباء والإحن
إن (الجلاء) عن الأرواح قد صدئت
ليس (الجلاء) عن الكورات والمدن
وللخلاص التزامات . أنحسبها نوعاً من اللهو أو ضرباً من الددن
والحق لم يحمه عيش بلا عدد عند اللقاء، وأسطول بلا سفن!!
والمجد لا يبتنى إلا وحائطه دعامتان من الأخلاق والفطن
أمامكم تبعات المجد فاصـــطبروا
في الموكب الوعر أو في المطعم الخشن
هي العزائم لا تنبو على ريب من الزمان ولا تخبو على الظعن

أغنيـــــة ...

« ... وذاب الوجود في الأذن لحناً »

للأســـتاذ أنور العطار

إن تراءيت لي خيالا وظناً رَقَصَ القلب فرحة وتثنى
واحتوائي حلم رقيق حبيب هو مني الهوى الذي أتمنى
والنشيد العذب الذي أتغنى

وإذا رفرفت عليك شجوني وهفا خاطري وهاجَ حنيني
فاسألي الليل أن يرق لحالي فهو مثلي هيمان جم الفتون
شاعر خيّر الرؤى والفنون

يغتلي في دمي شبابك جمراً ويعيد الحياة زهراً وعطراً
ومضات من سحر عينيك لاحت
فسرت في الفؤاد خمراً وشـــعراً
ومنى تغمر الجوانح غمراً

يا سنا خاطري ويا روض عمري يا صفائي ويا خيالي وشعري
طفت بالقلب فرحة وضياء كالشعاعات في نباشير فجر
والبشاشات في بواكير زهر

إن ترأفت بالمحب المعنى ورحمت الشباب يذبل غصناً
قد هدتني الحياة مثل الأناشيـ ـد، وذاب الوجود في الأذن لحناً
وشفتني المنى وقلبي غنى

نهر للحنان غنى بقلبي بنشيد حلو على الدهر عذب
بعث الماضي الحبيب لحوناً فاتنات تعيد سالف حبي
وتثير الجوى وتنرى وتصبي

دمشق أنور العطار

فما اســـتحال على الإيمان مطلب .
إن قلت يا مستحيل الأمر كن يكن
نعمى الجلاء على الأعمال باقية ولا تدوم على الأقوال واللسن
شر البلية أوطان بلا سند من الرجولة لا قوم بلا وطن .

محمد عبد الغني حسن

تعقيبات

مكتبة الجاحظ :

أنعم صديقنا الباحث المحقق الأستاذ عبد السلام هارون تحقيق كتاب الحيوان لأبي عثمان الجاحظ وأخرجه للناس مصححاً مقوماً مكملا ، فلو رآه الجاحظ لقرّت به عينه وطابت نفسه وشكر للأستاذ الفاضل هذا الصنيع الذي أحيا به أثراً خالداً ، وأسدى به إلى العربية يداً ..

ونشر الكتب وتحقيقها ليس بالأمر الهين ، ولكنه عمل يشترك فيه الذوق والفهم ، والعلم وسعة الاطلاع ، ويقتضي بذل الجهد وطول البحث والصبر على مراجعة النصوص ، وهذا كله قد اجتمع للأستاذ عبد السلام هارون ، وتجلى فيما أخرج من كتب قيمة وحقق من أسفار نافعة ، وقد أعطى لكتب الجاحظ قدراً كبيراً من عنايته ، فهو الآن يعد العدة لإخراج الحلقة الثانية من مكتبة أديب العربية الكبير ، وهي كتاب البيان والتبين ، وقد راجع الأصول المخطوطة لهذا الكتاب ، وكمل مواضع النقص فيه ، واستوفى مواقعه الناقصة شرحاً وتعليقاً ، وما بقي إلا أن يقدمه إلى أبناء العربية في أجمل حلة من التنسيق والطبع ..

على أن الذي يدعو إلى النبطة أكثر أنه الآن يهتم بجمع الأصول لرسائل الجاحظ المفقودة ، وقد هيأ فعلا رسالة « حيل اللصوص » لأبي عثمان ، وكان الظن بهذه الرسالة أنها ضاعت في أجواء العصور الخالية ، وإنه لجهد نافع ، وعمل مشكور .

إن هذا الذي ينهض به الأستاذ هارون لعمل تنوء به الجماعة، ولو نهضت به جامعة أو جماعة لحسبته من مفاخرها الخالدة ، ولكنه عمل ينهض به فرد مخلص للعلم . وهو صامت صابر ، قانع بأنه يؤدي واجبه العلمي ، ثم هو لا يظفر من جامعاتنا وهيئاتنا العلمية بكلمة تقدير أو شكر ..

علم وجهل :

والعلم والجهل ضدان لا يجتمعان ، ولكن محطة الإذاعة المصرية قد استطاعت أن تجمع بينهما في براعة تحسد عليها ، وتدل على عبقريتها ..

تقدم هذه المحطة إلى المستمعين برامج ثقافية تعرض فيها حياة بعض الشعراء والعلماء ورجال التاريخ ، في أسلوب طريف خفيف يحمل الناس على الاستماع إليه والانتفاع به ، والمحطة تقصد بهذا تثقيف المستمعين وتزويد الذين لم يطلعوا على التراث العربي بذلك الزاد الخفيف ، وهو لا شك قصد حسن تشكر عليه ، ولكن الخطر كل الخطر هو ما تتضمنه تلك البرامج من الأخطاء الشنيعة في التاريخ والأدب ، وتحريف الوقائع والروايات ، فإن ذلك يعكس القصد الذي تهدف إليه محطة الإذاعة بتقديم هذه البرامج ، فتكون طريقاً إلى الجهل باسم العلم

استمعت منذ ليال إلى برنامج قدمته المحطة عن الشاعر العالم أبي اسماعيل حسين بن علي الطغرائي الاصبهاني ، فلو أردت أن أنبه على ما وقع في ذلك من أخطاء تاريخية وتحريف للوقائع لاحتاج ذلك إلى صفحات من الرسالة .

فلعل المسئولين في محطة الإذاعة يعنون باستدراك هذا الأمر ، وإذا كان ذلك مما يشق عليهم فمن السهل أن يؤلفوا لجنة علمية أدبية لمراجعة هذه البرامج حتى تخرج سليمة من كل تحريف خالية من تلك الأخطاء التي لا تحتمل ..

دعوة مشهورة ! ! :

إنه لشيء طريف ، وما أكثر الأشياء الطريفة في هذه الأيام ! !

قالوا إن بعض المتخرجين في الجامعة وأساتذتها الشبان قد ألفوا من بينهم جمعية أسموها جمعية أنصار اللغة العامية ! وغايتها الدعوة لهذه اللغة باعتبارها لغة الأدب القومي في مصر الحديثة .. ويبرر أعضاء هذه الجمعية دعوتهم بأن الشرق العربي يمر بالمرحلة التي مرت بها أوروبا في عصر النهضة حينما تطورت اللهجات الشعبية إلى اللغات الأوروبية الحديثة متفرعة كلها عن أصل واحد وهو اللغة اللاتينية ! !

فاقرأ يا أخي وتحسر على هذا الثمر الذي أثمرته لنا الجامعة ، وعلى هذا التفكير الذي يتحدر من وراء العقول . عقول الشباب المثقف الذي يقال إنه عماد التقدم والنهوض . .

أنا رجل لا أحب أن أخلط مسائل العلم ونظريات الأدب بغيرها من الاتجاهات الأخرى ، الاتجاهات التي تتصل بالأغراض والمآرب ، ولكني أحب أن أسأل سؤالا خفيفاً : لماذا ترتفع الأصوات بالدعوة إلى العامية في هذه الأيام التي ندعوا فيها للجامعة العربية وتوثيق الروابط بين أبناء العروبة وحجتنا في ذلك أن لغتنا واحدة وتقاليدنا واحدة وقوميتنا واحدة ...

إنني أسأل هذا السؤال ، وإني لأضع يدي على شيء في هذا المجال ، ولكني لا أحب أن أصرح به ، ورجائي ألا يضطرني القائمون بهذه الدعوة المريبة المتهمة إلى التصريح والإفصاح ...

على أن أدع هذه الناحية جانباً ، وأسأل أولئك «الجامعيين» : ما تلك العامية التي يريدونها لغة قومية لمصر ؟ وفي مصر عشرات من اللهجات العامية التي لا تلتقي في كثير من الأحيان ، حتى إنه ليصعب على أبناء الوجه البحري التفاهم مع أبناء مصر العليا ، ثم ماذا يصنعون في رسم الكلمات ونطق الحروف ونحن نجد مثلا حرف « القاف » ينطقه أبناء الصعيد جيما ، وأبناء بعض المديريات الشمالية « قافا » ، وفي بعض المديريات الأخرى « كافاً » وفي القاهرة والمدن ينطقونه « همزة » ؟ !

ومن يدري ؟ لعل وراء هذه الدعوة دعوة أخرى ، ولعل « الجامعيون » يطالبون علينا بعد ذلك بالدعوة إلى استقلال كل مديرية من مديريات مصر بعاميتها وبقوميتها . . ألم أقل لك إنه شيء طريف ! !

الجامعات في سائر بلاد العالم تخرج شباباً مثقفاً مهذباً يعمل لتثقيف العقول وتنوير الأذهان والسمو بها إلى أعلى ، وجامعتنا تخرج شباناً ينحدرون من أعلى إلى أسفل ، ويودون بجدع الأنف أن لو استطاعوا السير في الطريق على رءوسهم وأقدامهم إلى السماء ليوجهوا إليهم الأنظار ...

حافظ . . ومكبث :

قال صديقنا الأستاذ دريني خشبة في مقال كتبه عن شوقي والمسرح في مجلة « الكتاب » .

« ... وكانت لحافظ إبراهيم بدوات يحن فيها إلى المسرح وتأسف عما كان يتمناه من استطاعة النظم له . وإلا فما الذي أغراه مثلا بترجمة تلك القطعة الرائعة من نظم شكسبير ، والتي يخاطب فيها مكبث خنجره قبل أن يغتال ابن عمه دنكان ، والتي يقول في مطلعها :

كأني أرى في الليل نصلا مجرداً يطير بكفنا صفحتيه شرار
تقلبه للعين كف خفية ففيه خفوق نارة وقرار

وهي ترجمة جيدة تدل على حسن فهم حافظ لروح شكسبير . »

والحق أن حافظاً لم ينظم هذه القطوعة المتداولة في وصف خنجر مكبث فحسب ، بل إنه ترجم الرواية جميعها ، ترجمها نثراً وشعراً ، وبذل في ذلك مجهوداً كبيراً ، وكان يعدها للتمثيل ، ولكنها فقدت منه ، وقد ظل حافظ رحمه الله يتحسر عليها إلى آخر حياته ..

ومما يذكر أن المرحوم سليم سركيس نشر صفحات من هذه الترجمة في مجلته التي كان يصدرها باسم «سركيس» ، وقد كتب في العدد الذي صدر بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١٩٠٦ يقول : « عرب حافظ إبراهيم الشاعر الكبير رواية ما كبث مكلفاً بذلك من الشيخ سلامة حجازي ليمثلها جوقه ، فاخترت أن أكون السابق إلى نشر شذرات من التعريب دلالة على إجادة المعرب وبياناً للغة هذه الرواية التي ستكون أفضل الروايات المصرية لغة » ... ثم أورد بعد ذلك نحو صفحتين من ذلك التعريب .

وقد عنيت من قديم بجمع كل ما نشر من الشذرات من تلك الترجمة التي تعد أروع آثار حافظ الأدبية ، ولعلي أستطيع في فرصة قريبة أن أقدمها إلى قراء الرسالة ...

ومما يذكر بهذه المناسبة أن الشاعر الكبير خليل مطران بك قد ترجم رواية مكبث وستمثلها الفرقة المصرية في هذا الموسم ولا شك أن شاعر القطرين قد عوض الأدب العربي بهذه الترجمة ما خسره بضياع ترجمة حافظ ..

« الجامد »

الأدب والفن في أسبوع

الأديب بين العزوبة والزواج :

كتب الأستاذ سلامة موسى مقالا في جريدة النداء ، عنوانه « الأديب الأعزب والأديب المتزوج — أيهما أخدم للأدب وأخلص للمجتمع ؟ » بدأه بقوله « بين الأدباء كثيرون تزوجوا وكثير منهم التزموا العزوبة . ولم يقم أحد باحصاء إلى الآن يبين فيه الفرق بين الأديب الأعزب وبين الأديب المتزوج من حيث إخلاصهما للمجتمع وخدمتهما للأدب . مع أن هذا البحث جدير بأن يهدينا في باب الزواج وباب الأدب معا » وختم المقال بالنتيجة التي رمى إليها فقال : « ولكنا نريد أن نثبت هنا بوجه عام أن العزوبة تخدم الأدب أكثر مما يخدمه الزواج » وقد خلص إلى هذه ، النتيجة من حيث ما ارتآه من أن الحرية التي يحتاج الأديب إليها قبل كل شيء لا تتوافر للمتزوج لأنه يعيش بعقلية عائلية تقيده فلا يستطيع أن يعالج مشكلات المجتمع معالجة قد تصطدم بشعائره الاجتماعية أو عقائده المذهبية ، وأن الزوجة عامل محافظ تكره أن تشذ عن القالب الاجتماعي وهي تفكر في زواج بناتها ولذلك تصوغهن في القالب الذي يطلبه الناس ، فهي تمنع زوجها أن يشذ أو يتطرف ، إلى أن قال : « وفي مثل العصر الذي نعيش فيه ، حيث تتغير الأوزان والقيم الاجتماعية ، يحتاج الأديب إلى الحرية حتى يفكر مخلصاً ويكتب مخلصاً ، فإن كان أعزب استطاع ذلك . أما إذا كان متزوجاً فإنه يلتزم الصمت حيث يجب النطق ويرضى بالقيود حيث يحتاج الحرية ويمتدح التقاليد التي يدرك مدى خطرها » .

ويبدو بعض الذي ذكره الأستاذ سلامة صحيحا كمحافظة الزوجة واندماجها في المجتمع وما عساها أن تجذب زوجها الأديب إليه من التقيد ومسايرة الأوضاع السيئة ، ولكني لا أرى ذلك موصلا إلى ما أراد أن يثبته من أن العزوبة تخدم الأدب أكثر مما يخدمه الزواج ، ولا إلى ما قال به من أن الأديب المتزوج يستحيل عليه أن يكون مبتدعا فذا كما يكون المعزب . لأن المسألة هي شخصية الأديب وأصالة طبعه وإيمانه بفنه واندفاعه إلى أهدافه ، فإذا كانت هذه صفاته فلن تستطيع الزوجة ولا « الرغبة في زواج بناته ! » أن تقيد حريته فتحول دون إبداء ما يراه ، والأستاذ سلامه نفسه مثل لذلك فهو متزوج وصاحب عيال وهو مع هذا يشذ ويتطرف . .

وهذا كله مع وقوفنا معه ونظرنا إلى الموضوع من الزاوية التي نظر إليه منها وهي التطرف في مهاجمة المجتمع ونظمه . ولم يقل أحد بأن الأديب لا يكون فذا مبتدعا إلا إذا شذ عن المجتمع واصطدم به .

إن حياة الأديب المتزوج تزخر بألوان من العواطف والتجارب لا يعرفها المعزب ، وخاصة إذا كان ذا أولاد ، ولا أعتقد أن في الدنيا عاطفة أقوى من عاطفة الأبوة (والأمومة) فهو يصورها ويقبس منها طاقات روحية ينبعث بها في كل ما يكتب ، فيبدع .

والمتزوج رجل عينه ملأى . . فهو أقدر على فهم الجمال ، ومقاييسه فيه أدق من مقاييس المعزب الذي يخدعه حرمانه . .

على أن الأهم من كل ذلك أن الأديب لابد له من المرأة لا لأنه رجل فحسب بل كذلك لأنه فنان يتميز بخصب الوجدان ، فهو إما يتزوجها ، أو يخدعها ، أو تكون من سواقط الحي . . والأولى أقرب الثلاث إلى شعوره والتغلغل في حياته والمشاركة في تبعاته ، وكثيراً ما تتعهده وتحفزه .

هذا ولو نظرنا إلى الموضوع من الوجهة الإحصائية كما أراد الكاتب في أول مقاله ، لوجدنا أدباءنا العروفين عدا قليل منهم متزوجين ، وفي جملتهم من كان معرضاً عن الزواج ثم تزوج ، وفي هؤلاء المتزوجين من ينقد المجتمع ويكتب في السياسة ، ويعنف في نقده وفي كتابته ، غير حاسب أي حساب لسخط المجتمع ، أو لجور السياسة ، أو .. لبوار بناته .. ! ولم يحق عليه شيء من ذلك .

كراسي عالية في المجمع اللغوي :

خلا في مجمع فؤاد الأول للغة العربية أربعة كراسي بوفاة الشيخ أحمد إبراهيم بك وعلي إبراهيم باشا والشيخ مصطفى عبد الرازق والأب انستاس ماري الكرملي

وينشط المجمع الآن — وقد استهل دورته الحالية — فى العمل لشغل هذه الكراسى .

قلت لمحدثى: لعلهم يتجهون فى اختيارهؤلاء الأربعة إلى استكمال عناصر تموز المجمع. قال : إن المجمع لا تموزه عناصر ولا كفايات ، والعجيب أنه يؤثر الاتئاد والتباطؤ ، أو إن شئت فقل التكاسل ، فى العمل مع أن كثيرين من أعضائه لهم نشاط أدبى خارجى عجيب ! وحسبك أن تعلم أنه يشتمل على كبار الأدباء فى مصر ولم يبق بعيدا عنه منهم إلا المازنى والزيات .

قلت : ليتهم يختارون له دما جديدا من الشباب الناضجين، أم تراهم يستكثرون على الشباب أن يكونوا من أعضاء المجمع اللغوى الخالدين فيه أبدا ...

زينب :

قلت فى كلمة سابقة إن علية بنت المهدى كانت تقول الشعر فى غلام يقال له « رشأ » وتكنى عنه بزينب ، ومن قولها فيه :

وجد الفؤاد بزينبا وجدا شديداً متعبا
أصبحت من كلفى بها أدعى سقيما منصبا
ولقد كنيت عن اسمها عمداً لكى لا تغضبا
وجعلت زينب سترة وكتمت أمراً محجبا

فكتبت الأديبة النابهة فدوى عبد الفتاح طوقان فى العدد الماضى من الرسالة ، تقول إن الأبيات لابن رهيمة المدنى وليست لعلية ، وأوردت ما عقب به أبو الفرج على الأبيات بعد أن رواها عن ميمون بن هرون منسوبة إلى علية إذ قال : « هكذا ذكر ميمون بن هرون ، وروايته فيه عن المعروف بالشطرنجى ، ولم يحصل ما رواه ، وهذا الصوت شعره لابن رهيمة المدنى والغناء ليونس الكاتب ، وهو من زيانب يونس المشهورات ، وقد ذكرته معها ، والصحيح أن علية غنت فيه لحنا » ثم قالت الآنسة فدوى إن زيانب يونسى سبع قطع من شعر ابن رهيمة كان يقولها فى زينب بنت عكرمة .

وكنت قد قرأت تعقيب أبى الفرج الذى أوردته الآنسة، فلم أره يتسق مع مضمون الأبيات، لأن ابن رهيمة يتغزل فى « زينب » وهو اسم حبيبته الصريح فلم يكن ولم يجعل زينب سترة ، ومن قوله فى إحدى زيانبه السبع :

إنما زينب عمى بأبى تلك وأمى
بأبى زينب لا أكنى ولكنى أسمى

وروى أبو الفرج عن راو آخر ، هو عبيد الله بن العباس الربيعى ، قوله : لما علم من علية أنها تكنى عن رشأ بزينب قالت :

القلب مشتاق إلى ريب يا رب ما هذا من العيب
قد تيمت قلبى فلم أستطع إلا البكا يا عالم الغيب
خبأت فى شعرى اسم الذى أردته كالخبء فى الجيب

وقال أبو الفرج « فصحفت اسمها فى ريب » .

فنحن الآن أمام أبيات ، يقول صاحبها إنه يخفى اسم محبوبه ويستره ويكنى عنه ، وعلية هى التى كانت تصنع ذلك واشتهرت به حتى اضطرت إلى التحول عن « زينب » إلى « ريب » وقد نسب الرواة إليها الأبيات ، وكذلك فعل الحصرى فى كتابه « زهر الآداب » إذ قال بالجزء الأول فى علية : « وعلقت بغلام اسمه رشأ وفيه تقول :

أضحى الفؤاد بزينبا صبا كئيباً متعبا
فجعلت زينب سترة وكتمت أمراً معجبا »

فكيف تكون الأبيات بعد ذلك لابن رهيمة واسم صاحبته زينب؟ أيكنى بزينب عن زينب ويسترها بها ؟ !

وما أظن ذلك قد غاب عن فطنة الآنسة فدوى ، ولكنها — فيما يبدو لى — وقعت فيما وقعتُ فيه من حيرة فى اضطراب أبى الفرج ، فأرادت أن تعرف ما أقول فيه . وقد قلت .

الأدب والسينما :

كان مساء الجمعة موعدا للمناظرة التى قامت بنادى الخريجين المصرى فى موضوع « إخراج روائع الفكر على الشاشة متمم لقيمتها الفنية » وقد أيد الرأى الأستاذان كمال شكرى ومصطفى حبيب ، وعارضه الأستاذان يحيى نصار وعلى الراعى

ومما قاله المؤيدان أن السينما فن له خطره فى قيادة الجماهير وتوجيهها . وقد اجتاز أو أوشك أن يجتاز المرحلة التى كان فيها كل الغرض منه الاتجار وإدرار المال بتقديم ما يسلى دون أن ينفع ، وذلك بفضل الجمهور الذى استنار وطالب بغذاء فكرى

فى منتجات السينما ، فاضطر المخرجون والمنتجون أن يستجيبوا له فقدموا له ما كتبه الأدباء من القصص القيمة ، وأخرجوها من الحيز المحدود إلى عالم أوسع . ولا يستطيع فن السينما أن يقوم ويواجه الجمهور المستنير إلا على جهود الكتاب الذين يعالجون فى رواياتهم مشكلات المجتمع ويصورون آلام الناس وآمالهم ، ولا تستطيع السينما أن تعيش طويلا على ما يقدمه لها من لا حظ لهم من علم أو أدب أو فن .

وفن السينما يتمم قيمة الأدب بتجسيم ما يرمى إليه الأديب وتحريك أشخاصه وتوضيح الغامض من فكرته ، وقد يركز الهدف المبسوط فى صفحات — فى منظر واحد . وهو بعد هذا يتمم رسالته بتبسيطها وتقريبها وتسهيل هضمها ، وبنشرها فى جموع رواد السينما الذين هم أكثر من قراء الأدب ، وبذلك تصبح السينما أداة نشر للأدب بعيدة المدى عظيمة الأثر .

وذهب معارضا الرأى إلى أن الأدب والسينما فنان يختلف أخذهما عن الآخر ، فالأدب يوحى إلى كل قارىء من قرائه الفرادى بمشاعر مختلفة ويؤثر فيهم تأثيرات متباينة ، وعندما يعمد إليه المخرج يستمد تأثيره الخاص ويصبه فى قالبه السينمائى فتتأثر به الجموع المشاهدة تأثيراً واحداً ؛ والأدب أداته الأسلوب والألفاظ ، أما السينما فتعتمد على الصور والحركات والحوار ، فالرواية حين تنتقل إلى السينما تصبح شيئاً اخر غير الأدب . والسينما تتطلب من مشاهدها المتابعة السريعة ، وهذا يقتضى ألا تحتاج مادتها إلى تأمل وإمعان فكر على خلاف الأدب الذى يتيح التأمل والتفكير اقارئه ، بل هو يدعوه إليهما بما فيه من تعمق وبعد غور . والسينما لا تكفى طالب الأدب بل هو بعد أن يشاهد القصة على الشاشة يتشوق إلى قراءتها ليجد فيها ما لم يؤده إليه عرض السينما .

وعلى ذلك فالسينما فن قائم بذاته مغاير للأدب ، ومغاير الشىء لا يتممه .

وبعد أن رد المؤيدون على ذلك وبينوا أن هذه اعتبارات نظرية تقوم على مغالطات يدركها المتأمل — أخذ رأى الحاضرين فى الموضوع ، فأيد الرأى الأكثرون .

قيود العملة ونشر الثقافة :

نشرت إحدى الصحف أن فريقا من منتجى الأفلام السينمائية فى مصر وأصحاب شركات السينما شكوا إلى وزارات المالية والتجارة والخارجية من الصعوبات التى يلاقونها فى استيراد الأموال المستحقة لهم من البلاد الشرقية ثمنا للأفلام التى ترسل من مصر إلى تلك البلاد نظرا للقيود المفروضة على إخراج العملة فى تلك البلاد إلى الخارج . وقد عنيت وزارة المالية ببحث هذا الموضوع ودراسته ، فاستقر الرأى على أن تتولى وزارة الخارجية مخابرة حكومات تلك البلاد فى تيسير إخراج العملة من بلادها ثمنا لما يرسل إليها من الأفلام المصرية رغبة فى نشر الثقافة عن هذا الطريق . وقد أرسلت وزارة المالية فعلا إلى وزارة الخارجية نص كتاب بهذا الشأن لتوجهه إلى حكومات بعض البلاد الشرقية لتحقيق ذلك .

والواقع أن المؤلفين فى مصر ودور النشر يشكون هذه الشكوى ، لأنهم يجدون صعوبة فى إصدار المؤلفات إلى البلاد الشقيقة لتلك الأسباب ، والواقع كذلك أن أزمة إصدار المؤلفات المصرية إلى خارج القطر أقدم من قيود العملة ، فقد بدأت هذه الأزمة من سنى الحرب التى قل فيها الورق ، فلم يصرح إلا بتصدير ثلاثين فى المائة من عدد نسخ الكتاب المقدر بما يمنح المؤلف من الورق ، مما مكن لبعض الشقيقات من النشاط فى إصدار مؤلفاتها .

ولم تكد ترفع قيود التصدير حتى جاءت قيود العملة فأصبحت زعامة مصر الأدبية مهددة ، بل هُدد التعاون الثقافى بين البلاد العربية ، وكاد يقف انتشار الثقافة العربية فى أرجاء الوطن العربى الأكبر .

ولا شك أن هذا الأمر يدخل فى اختصاص اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، كما يعنى وزارة المعارف المصرية التى تهتم بالتعاون الثقافى العربى . ولابد أنهما عندما تلتفتان إليه ستبذلان له عنايتهما بالاشتراك مع وزارتى المالية والخارجية ، وإنه لجدير بعناية الجميع وإذا كان قد عنى بمسألة الأفلام رغبة فى نشر الثقافة عن طريقها فإن الكتب هى الأداة الأصيلة لنشر الثقافة .

« العباسى »

القرقور فى القاموس :

أخرج السيد (البر الريحانى) شقيق (الفيلسوف أمين الريحانى) فى هذه الأيام للقارئين كتاباً كبيراً ، اسمه (قلب لبنان) من إنشاء أخيه ، وقد جاء فيه (ص ٥٢٢) :

« وهاك مثالا من مباحث (برار)[1] التاريخية : بين الجزائر السبع اليونانية جزيرة فقدت اسمها القديم واسمها الأقدم السامى . أما اسمها اليوم فهو (كرفو) . أما اسمها القديم فهو (كركير) وهو غير يونانى . وأن له قصة طريفة جاءت فى الأدوسى .

يوم كان عولس عائداً إلى اثيكا نقم عليه اله البحر ، فحول مركبه إلى صخرة عند الشاطىء ، فسميت الجزيرة باسم ذلك المركب تذكاراً للحادث المفجع .

ثم قال العلامة برار أن معنى كركيرا المركب السريع ، وإن الاسم فنيقى سامى . (فقد كان العرب . يسمون المركب السريع كركر أو كركور .) »

قال الفيلسوف : إنه رجع إلى الغير وزبادى فصل الكاف باب الراء وفصل القاف باب الراء فلم يجد لا كركورا ولا قرقورا . وقد كان الفيلسوف البقرى (الأمين) فى هذا القول من المتسرعين وإن كان خطب تسرعه يسيراً هيناً بالقياس إلى تسرع كثير من نظرائه من الفلاسفة والأئمة . يقول الإمام ابن السيد البطليوسى[2] فى كتابه (الاقتضاب فى شرح لا لأدب الكاتب[3]) ناعياً على الإمام الأصمعى تسرعه (ص ١٤١) : « كان الأصمعى (عفا الله عنه) يتسرع إلى تخطئة الناس ، وينكر أشياء كلها صحيح » .

« وقد يكون مع المستعجل الزلل » كما يقول القطامى .

(١) فى كتابه Le resurrection d' Homére

(٢) ابن خلكان : السيد بكسر السين وسكون الياء ، وهو من جملة أسماء الذئب سمى به الرجل ، والبطليوسى بفتح الباء والطاء وسكون اللام وفتح الياء .

(٣) لابن قتيبة وهذا هو اسمه لا (أدب الكاتب) .

إن (القرقور) هو فى (القاموس) واليقين أن العلامة برار إنما عنى هذه اللفظة ، وقد قال (كركير أو كركور) إذ لا قاف فى ألسن الفرنج ولا ضاض ولا عين ، ولو سمع (أبو مهدية)[1] حديث القوم لتعجب كيف يلغو هؤلاء الناس ، كيف يحكون وقد خلا لحنهم أو لسنهم أو حكايتهم[2] من أمثال هذه الحروف .

وهذا قول مجد الدين فى مصنفه (القاموس) : « والقرقور كعصفور السفينة أو الطويلة أو العظيمة » قال شارحه صاحب (التاج) : « والجمع القراقير ، ومنه قول النابغة : (قراقير النبيط على التلال) ، وفى الحديث : فإذا دخل أهل الجنة الجنة ركب شهداء البحر فى قراقير من در » . وإذا شك فى الحديث — وقد نقله (التاج) من (النهاية) — فلا ريب فى صحة ألفاظه فى اللغة . وروى أبو على فى (أماليه) ج ١ ص٢٧٩ مقطوعة مستطرفة لعبد الصمد بن المعذل فى هجاء ابن أخيه . وردت تلك اللفظة فى مطلعها :

لو كان يعطى المنى الأعمام فى ابن أخ
أصبحت فى جوف قرقور إلى الصين

وقال الحاجى فى ختامها :

إن القلوب لتطوى منك يا ابن أخى[3]
إذا رأتك على مثل السكاكين

فعندنا — كما ترى — (القرقور) وهذه اللفظة وغيرها هى من الأدلة على أن العربية والنيقية - والفنيقية بنت العربية — كانتا تعطيان الأغريقية كما كانتا تأخذان منها ، وشيخنا يقول:

(١) أعرابى ، له أخبار مستملحة ..

(٢) اللحن : اللغة ، روى اللسان والتاج :

وقوم لهم لحن سوى لحن قومنا وشكل (وبيت الله ، لسنا نشاكله

وفى الأساس : « وعن أبى مهدية . ليس هذا من لحى ولا من لحن قوى أى من نحوى ومذهبى الذى أميل إليه وأتكلم به ، يعنى لغته ولسنه . وتقول العرب : هذه حكايتنا أى لغتنا . ولكل قوم لسن أى لغة » .

وفى الميمية العبقرية المتنبية :

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفى أذنى الجوزاء منه زمازم

تجمع فيه كل لسن وأمة فما تفهم الحدثان إلا التراجم

قال تفهم كما قال غيره من قبله

(٣) ألف (ابن) لا أرى حذفها هنا .

« والناس بالناس من حضر وبادية » فلكل على كل يد[1] ، ولن يستبد بالفضل كله فى هذه الدنيا مستبد . وما احتفلنا بتلك الكلمة وحرصنا عليها لتكتب فى الصحف أو تقال لكن اهتممنا بها للتاريخ ، وسيمكث (القرقور) فى (القاموس) أو فى البناء مرسى بالأنجَر[2] لا يغدو ولا يروح ، فلا نقول فى وقت : باسم الله مجراه بل باسم الله مرساه ... والعربية — يا أخا العرب — بحر ، فلا تعدم اللفظ الفصيح المأنوس القرآنى .

« السراوى »

تعليق على كلمة :

قرأت فى مجلة الرسالة الغراء مقالا للدكتور عبد الوهاب عزام بك فى العدد ٧٤٨ وقد لفت نظرى فى أثناء المقال استعماله كلمة « اطأدت » جاء بها خلال تحدثه عن ضريح « همايون » فى الهند بقوله : « وما رسخت قواعد الملك ولا اطأدت أساطين الدولة .. الخ » وهذه الكلمة لا تعترف بها القواعد الصرفية لأن ثلاثيها « وطد » وصوغ « افتعل » منها يكون اتطد كوعد واتعد وهكذا ، وزيادة للايضاح أذكر ما كتبه صاحب « المثل السائر » فى أوائل كتابه المذكور عن هذه الكلمة التى جاءت فى شعر أبى تمام ، قال صاحب المثل السائر : وقد غلط أبو تمام فى قوله :

بالقائم الثامن المستخلف اطأدت قواعد الملك ممتداً لها الطول

إلا ترى أنه قال : اطأدت والصواب اتطدت لأن التاء تبدل من الواو فى موضعين أحدهما مقيس عليه كهذا الموضع لأنك إذا بنيت افتعل من الوعد قلت : أتعد ومثله ما ورد فى هذا البيت فإنه من وطد يطد ولا يقال اطأد .

وأما غير المقيس فقولهم : تجاه ، من وجاه ، وتكلان ، من وكل فابدلت الواو تاء للاستحسان ... هذا نص ما قاله ابن الأثير الموصلى فى المثل السائر صفحة ٧ ، ولعل للدكتور عزام حجة تفند زعم الموصلى ليصح قول أبى تمام فيصح قول الدكتور نفسه .

ابراهيم الوائلى

(١) فى (اللسان) : قال ابن سميل : له على يد ، ولا يقولون له عندى يد . وفى الأساس : لفلان عندى يد (قلت) كلاهما أمام فأنت على التخير ، تخير ما شئت .

(٢) فى (المعرب) للجواليقى : الأنجر فارسى معرب وفى القاموس الأنجر مرساة السفينة خشبات يفرغ بينهما الرصاص إذا رست رحبت السفينة ، معرب لنكر (قلت) الأنجر مذكر لا مؤنث كما جاء فى معجمات عصرية ، وكذلك البناء وهو عمد ويقصر ، وأول من نبه على هذه اللفظة أعنى البناء وهو الشيخ ابراهيم اليازجى فى مجلته (الضياء)

حول خبر في النجوم الزاهرة :

إلى الصديق الأستاذ المؤرخ أحمد رمزى بك .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . جاء فى الجزء السابع من « النجوم الزاهرة » ص ١٢٦ سطر ١٦ .

قول مؤلفه أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى حين يتحدث عن قضاة الشافعية بمصر : (وقاضى القضاة جلال الدين المذكور هو صهرى وزوج كريمتى ومات عنها رحمهما الله تعالى وعفا عنهما) وفى هذا الكلام نظر لأن القاضى جلال الدين هذا توفى سنة ٨٢٤ هجرية ، والمؤلف ابن تغرى بردى ولد سنة ٨١٣ هـ على حسب قوله هو فى ترجمته لنفسه . فكيف ينجب بنتاً تتزوج بالقاضى جلال الدين ويموت عنها زوجها سنة ٨٢٤هـ؟ أتكفى هذه السنوات الإحدى عشرة لكى يبلغ الأب الحلم ثم يتزوج فينجب ثم تبلغ بنته سن الزواج ؟

لقد ظننت — توقيا للاستحالة العقلية والطبعية فى هذا الخبر أن بالنجوم خطأ فى هذا الموضع ؛ وأن القاضى جلال الدين لا بد أن يكون صهرا لصاحب النجوم الزاهرة ولكن فى غير كريمته .

ورجعت إلى كتب التراجم فوجدت فى « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » لابن العماد الحنبلى جزء ٧ ص ٣١٧ أن القاضى جلال الدين تزوج بأخت مؤلف النجوم وهو الذى تولى تربيته . ووجدت فى « الضوء اللامع للسخاوى » ما يفيد أن القاضى جلال الدين تزوج بأخت المؤلف بعد وفاة زوجها الأول الناصرى بن العديم القاضى .

ألا ترى معى أيها الصديق الكريم أن الخطأ فى كتاب « كالنجوم الزاهرة » يجب أن يصاح حتى لا يضل الباحث ويضطرب . ثم ألا ترى معى أن رواية الشعر فى « النجوم الزاهرة » لا تزال مضطربة ، وأن همة « الدار » أكبر من أن يشق عليها التحرى والتوفيق ؟؟

محمد عبد الغنى حسن

من خبر الجامعة :

جاءنا أن قسم اللغة العربية فى كلية الآداب عقد اجتماعاً برياسة الأستاذ أمين الخولى ، وبناء على اقتراحه تقرر (بمخالفة الأستاذين الشايب وشوقى ضيف) إسناد تدريس علوم القرآن إلى صاحب رسالة الفن القصصى فى القرآن . وعلمنا أنها قد اتصلت بعض الهيئات الإسلامية على أثر ذيوع هذا الخبر بالعميد الدكتور عزام بك ، وفهمت منه أن صاحب هذه الرسالة سيخرج من الجامعة حتما .

قصة تاريخية :

القائد المفقود

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

[إلى الذين يحسبون أن المفاوضات السياسية والمداولات الدبلوماسية ستنقذ فلسطين من محنتها ...]

كانت آخر خفقة في السراج الذي ظل سبعة قرون يضيء أرجاء الدنيا ... فقد استطاع الملك فرناندو في غفلة من ملوك العرب بالأندلس أن يتخطف ملكهم الواسع قطعة قطعة ، وأن يطوح بهم من عرش الملك واحداً إثر واحد ، وكان في الجولة الأخيرة قد استولى على وادي آش والمرية وبازة وغيرها من الأقاليم ، ثم أرسل بجيوشه الجرارة للاستيلاء على غرناطة وكانت هي كل ما بقي للعرب من ذلك المجد الباذخ الذي بناه آباؤهم بالشجاعة والسيف ، فأضاعوه هم بالجبن والخوف ..

واجتاحت تلك الجيوش الجرارة في يوم وليلة أواضي غرناطة واستولت على مشارفها ، ثم وقفت بأبواب المدينة العظيمة فطوقتها من كل جانب وضربت عليها حصاراً خانقاً حتى تسلم أو تموت جوعاً ، وكان يتولى الدفاع عن المدينة القائد العربي العظيم موسى ابن أبي الخازن ، فلم يهن ولم يجزع أمام تلك القوة الساحقة ، بل وقف يحشد كل ما يملك من شجاعة وحكمة وحيلة لذلك الموقف الرهيب ، فوزع قوات الدفاع على أسوار المدينة ، وجند الشبان الفدائيين للتسلل بين ثغرات الحصار وجلب المؤن للسكان ، ووضع نظاماً لتوزيع الطعام حتى يستطيع السكان أن يثبتوا أطول ما يمكن من الزمن . وكانت لا تفتر لهذا القائد المجاهد عزيمة ، فكان لا يرى في الليل وفي النهار إلا واقفاً يشد من عزائم جيشه وبني قومه . أو مشتبكاً مع الأعداء في مناشات عنيفة تقطع فيها السيوف وتجرى الدماء . .

طال الأمر بهذه الحال الرهيبة ، وطالت غرناطة ترزح تحت الحصار الخانق سبعة أشهر حتى نفد منها الطعام ، وأخذ الجوع يتهدد الأهالي بالفناء الساحق والدمار الماحق ، ورأى أبو عبدالله الملك أنه لا أمل في النصر ، وأنه ليس في طاقة السكان أن يتحملوا أكثر مما احتملوا ، فجمع الوزراء والقواد وأهل الشورى وأخذوا يدبرون للخروج من هذه الشدة ، فأجمعوا على أن الأمر أصبح لا يطاق ، وأن التمادي في الدفاع لا يجدي بعد أن أخذ السكان يتساقطون إعياء وجوعاً ، وأن الحكمة تقضي بالتماس طريق آخر للخروج من هذا الكرب ، ثم اتفقوا على أن خير الطرق في ذلك هي أن يفاوضوا الملك فرناندو على وضع يحتمل وشروط للصلح يمكن أداؤها . .

فانتفض القائد موسى في مكانه ونهض قائلا : ما هذا الذي أنتم فيه أيها القوم ؟ ! وما هذا الرأي الذي ترون ! ! أجل ! إن الجوع يصفنا بنابه الأرزق ، وإنه يودي بفلذات أكبادنا ، ولكن في شرعة الكرامة لا يزال لدينا الكثير ! إننا لم نأكل القطط والكلاب والعشب والحطب بعد ، وإن الجوع في أسوأ حال أشرف وأكرم من الاستعباد على أي حال ، إن الحر يحتمل أن يرى أطفاله وعشيرته يموتون جوعاً ، وأن يواريهم التراب بيده ثم لا يذرف عليهم دمعة واحدة ، ولكنه لا يحتمل أبداً أن يرى أبناءه وعشيرته أرقاء للغاصبين ، وأن يرى زوجاته وبناته نهباً للفاتحين ، وأن يرى نفسه غريباً طريداً في مرتع طفولته وصباه وموطن شبابه وشيخوخته ، فاللهم لا تدمني حتى أعاني تلك الحال .

فعاد القوم يتشاورون ، ولكنهم عادوا فأجمعوا على ما كانوا فيه ، وقال قائلهم : إننا إذا دخلنا في مفاوضة مع الملك فرناندو وجرينا معه على طريقة التفاهم والمودة فإنه لا يشق علينا ، لأننا أصبحنا بازئه لا نملك حولا ولا قوة ، وإنما حاجته إلى الملك لا إلى ظلم الناس والقسوة عليهم . فلنرسل إليه رسولا يفاوضه على شروط التسليم ولننظر ما يأتي به الرسول ..

قال موسى : كيف تقولون إننا لا نملك حولا ولا قوة ؟ ! كلا : إننا نملك الموت في سبيل الشرف ، وما هذه المفاوضة التي تريدونها إلا إظهار للضعف ودعوة إلى التخاذل وإعلان للتسليم والاستسلام وثقوا أنكم لن تسمعوا في هذه المفاوضة من الملك فرناندو إلا كلمة القوي للضعيف ..

ضاعت كلمات القائد موسى صرخة فى واد ونفخة فى رماد ، وما كان يستطيع أن يحرك النفوس الهامدة وأن ينفخ الحياة فى الأموات ، فتركه القوم لحماسته ، وانصرفوا إلى ما اتفقوا عليه من الرأى ، فأرسلوا بالوزير أبى القاسم عبد الملك إلى مفاوضة الملك فرنانادو فى الصلح والتفاهم معه على الشروط التى يريدها ، فما علم الملك بمقدمه لهذه الغاية حتى رحب به أجمل ترحيب وأحاطه بالحفاوة والإكرام، ووكل إلى وزيره أمر المفاوضة مع الوزير العربى وكان أن أملى القوى شروطه على الضعيف .. ثم عاد أبو القاسم يحمل إلى قومه معاهدة كثيرة البنود طويلة الشروح والتفاصيل، تنص فى أول بنودها على تسليم غرناطة وإطلاق الأسرى الأسبان المعتقلين فيها ، وأن يقسم الملك أبو عبد الله ورجال دولته يمين الطاعة والاخلاص للملك فرنانادو ، وأن يقطع له بعض الأراضى ليقضى فيها بقية حياته ، وأن يؤمن المسلمون على أموالهم وعباداتهم وعاداتهم ، وألا يؤخذ منهم من الأموال والضرائب إلا ما كانوا يدفعونه للوكهم ، وإمهال الملك أبى عبد الله للتفكير فى قبول هذه الشروط ستين يوماً تبتدىء من تاريخ تحرير هذه المعاهدة فى الخامس من نوفمبر سنة ١٤٩١م الموافق الثانى والعشرين من المحرم سنة ٨٩٧ هـ

رجع الوزير أبو القاسم يحمل هذه المعاهدة إلى قومه ، فدعا الملك أبو عبد الله الوزراء والرؤساء والفقهاء وأهل الرأى ليشاورهم فيها ، فلما وقفوا على مضمونها غامت الدنيا فى وجوههم وأجهشوا بالبكاء ، ورأوا أنه لا حيلة لهم إلا التسليم والأذعان ، إلا القائد موسى ابن أبى الخازن فإنه صاح فيهم قائلا : « وآسفاه ، أنتم تبكون أيها الرجال ، إذن فالويل للنساء والأطفال ، لقد حذرتكم فما سمعتم . وأنذرتكم فما أصغيتم، وإنكم لتسمعون من الملك فرنانادو كلمة القوى للضعيف ، وهى كلمة لا يتبدل مدلولها فى إرادة الأقوياء ، ولا يتغير أثرها فى إذعان الضعفاء ، وها أنتم أولاء أيها السادة ترون أنفسكم وقد أصبحتم بهذا الأذعان أرقاء أذلاء ، ففى الغد تبصرون الناصبين يدخلون بيوتكم ، ويستبيحون حرماتكم، ويعطلون شعائركم ، ويتخطفون أقواتكم ، ويتحكمون فى رقابكم ، فلماذا ترهبون الموت والموت أهون مما سيصيبكم ، وأشرف مما سيحل بكم ، إن من الشرف أن نواجه الموت اختياراً قبل أن نرغم عليه إرغاماً ، وإن من الكرامة أن ندافع عن حتى آخر قطرة من دمائنا وحتى نبيد عن آخرنا ...

***

إذا ما أفعم اليأس النفوس صمت الآذان وماتت العزائم ... وهكذا ضاع كلام القائد موسى هباء فلم يحرك من القوم ساكناً، فأذعنوا لما فرضه عليهم الملك فرنانادو من الشروط ، وواقفهم الملك أبو عبد الله على ذلك إيثاراً للسلامة فى ملك طرد منه بعد قليل شر طردة .. أما القائد موسى ابن أبى الخازن فإنه أبى أن يستسلم وأن يذعن . . . فقصد من فوره إلى داره وتقلد سلاحه ولبس دروعه وامتطى جواده ثم خرج ليدافع أولئك الغزاة الذين تقدموا ليكتبوا آخر سطر فى تاريخ العرب بالأندلس ..

ولم يعرف أحد ماذا كان مصيره ولا كيف كانت نهايته . . وما يزال التاريخ يبحث إلى اليوم عن ذلك القائد المفقود ..

محمد فهمى عبد اللطيف

ظهر حديثاً :

ابراهـــام لنكولن

للأستاذ محمود الخفيف

الثمن ٣٥ قرشاً

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات فى الرسائل البرقية

أن الاعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى بأجمعه هو دعاية عامة واسعة النطاق قد هيأتها المصلحة للممعن الذى يرمى الى رواج اعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته

وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذه الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة الف اعلان بثلاثين جنيهاً مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيهاً وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيهاً فضلاً عن تخفيض معين فى المائة إذ بلغ المراد نشره مليوناً أو أكثر من الاعلانات .

إنتهزوا هذه الفرصة ولايفوتكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل .

ولزيادة الايضاح اتصلوا :—

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة بمحطة مصر

مطبعة الرسالة